الرهبنة تلمذة
على سير وتعاليم الآباء

{١} مار إسحق السرياني	{٢} توما الكمبيسي	{٣} القديس يوحنا السلمي
{٤} القديس برصنوفيوس	{٥} قديسون أخرون	{٦} كتاب فردوس الآباء
{٧} مار إفرام السرياني	{٨} قداسة البابا شنودة الثالث	{٩} أغناطيوس بريانتشانينوف
{١٠} القديس مرقس الناسك	{١١} كتاب بستان الرهبان	{١٢} فيلوكالية الأباء الزاهدين

{١}
مار إسحق السرياني

📖 ١٣- ينبغي أن نعتبر عمل القراءة عملاً مفضلاً جداً، وأهميته لا تحدها أية مبالغة، لأن عمل القراءة هو الباب العظيم الذي بواسطته يدخل الذهن إلى الأسرار الإلهية ويتقوى، لكي يدرك الاستنارة في الصلاة. وهو يغمره بالتنعم فيما يُسرّح فكره في أعمال تدبير الله التي أُكملت من أجل البشرية، تلك الأعمال التي تجعلنا نقف دائماً منذهلين.

📖 والتي بها أيضاً يتقوى الهذيذ الذي هو أول ثمار هذا التدبير الذي نتكلم عنه، وبها تستضئ الصلاة وتتقوى، سواء تلك المأخوذة من الأسفار الإلهية، أو من كتابات معلمي الكنيسة الكبار على موضوع

التدبير الإلهي، أو من أولئك الذين يعلِّمون أسرار التدبير {الروحي أو النسكي}.

📖 ١٤ــ هذان النوعان من القراءة مفيدان لإنسان الروح.

📖 وأي نوع أخر يسبب له خسارة، ويُظلم ذهنه فعلاً، ويطمس هدفه الذي هو الوجود مع الله، كما أن تلك الأنواع الأخرى تجلب عليه ظلاماً، وتراخياً أثناء الخدمة والصلاة.

📖 ١٥ــ بدون القراءة في الأسفار المقدسة لا تكون للذهن وسيلة تُقرِّبه إلى الله، فالقراءة هي التي تجتذب العقل وتضعه في كل لحظة باتجاه الله، وهي تغسله من هذا العالم المادي بأفهامها، وترفعه دائماً فوق الجسد.

📖 وليس هناك عمل أخر يمكن للإنسان بواسطته أن يحرز تقدماً أفضل، هذا إذا كان ذلك الشخص يقرأ من أجل الحق، فتلك هي أنواع الأمور التي يجدها فيها.

📖 ١٦ــ هناك أشخاص لا يستفيدون حتى من القراءة عن أعمال التدبير الإلهي، إذ لا يجدون فيها أية منفعة.

📖 وهؤلاء على العموم يزدادون ظلاماً، ذلك لأنهم يحتاجون بالأكثر إلى الحديث المضيء والمستفيض عنه، وكذلك أيضاً الكتب التي كتبت عن ذلك الموضوع بعناية عظيمة بواسطة كتاب إلهيين مستنيرين. وبحفظ هذه الأمور في العقل، تبتهج النفس جداً وتنسلخ من الأوجاع.

ميامر مار إسحق ـ الجزء الخامس ـ الميمر الحادي والعشرون ـ صفحة ١٣٦ ـ ١٣٧



📖 ٧٨ـ كما أن الأشكال والألوان تزين الطلاء والصور واللوحات، هكذا فإن مشورات الشيوخ، وتعاليم الحق، تزين الكائنات العاقلة، وتوجِّهها نحو طرق، وعادات، وممارسات سامية.

📖 فالنفس تتزين بالصلوات المتواترة، والتأمل في الأمور الإلهية، وقراءة الكتب المقدسة، واليقظة. أما الإنسان الذي يفحص ويطلب معرفة أمور كثيرة، ولكنه لا يعمل إلا الأمور التي يجد فيها تكميل مسرته فحسب، فهو يشبه الشياطين النجسة.

📖 وكما أن نور الشمس ليس له فائدة للأعمى، هكذا فإن نصيحة الشيوخ وتعليمهم ومعرفتهم، لا منفعة لها للنفس التي تجردت من أعمال التدبير الثابت، وقد أعمتها الأوجاع.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ الميمر السادس ـ صفحة ٢١١

📖 **٢٣ـ** افرز قصد الكلام في كل قولٍ تقابله في الأسطر، لكي تغوص نفسك، في المعارف العظيمة، التي وضعها أناس عارفون مستنيرون.

📖 **٢٤ـ** الذين ترشدهم النعمة في تدابيرهم لكي يفهموا ويستنيروا يحسُّون – على الدوام، وكأنما هناك شعاع عقلي، يسير بين الألفاظ قدام الفكر، ويجعله يميِّز بين الكلام البسيط، وبين الأخبار {أي الأقوال} التي قيلت بمعنى مرتفع، لإنارة النفس.

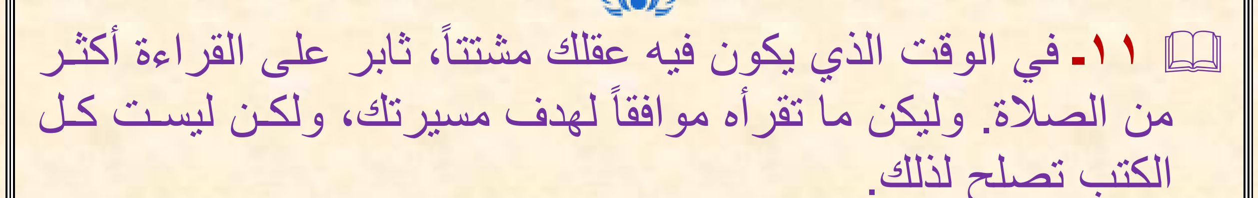
📖 **٢٥ـ** الذي يقرأ الكتب بسذاجة، بغير تفهم للمعاني العظيمة، يقسو قلبه، ويبرد من القوة المقدسة، التي تعطي القلب مذاقه لذيذة، من الأفهام المدهشة للنفس.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر الأول ـ صفحة ٢١١

📖 **١٥ـ** اشغل نفسك دائماً في القراءة بإفراز، لئلا بسبب البطالة يشرد

نظرك، شهيةٌ جداً هي: أخبار القديسين، في مسامع الودعاء، كشرب الماء للغروس الجدد.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الثاني - الميمر الثاني - صفحة ٢٠



١١- في الوقت الذي يكون فيه عقلك مشتتاً، ثابر على القراءة أكثر من الصلاة. وليكن ما تقرأه موافقاً لهدف مسيرتك، ولكن ليست كل الكتب تصلح لذلك.

١٢- القراءة هي ينبوع الصلاة النقية.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الثاني - الميمر الثاني - صفحة ٥١

٢٤- أية سيرة كان هؤلاء القديسون، يتدبرون بها، في هذه الأماكن؟! هل كانوا يحيون في الجسد، أم أن حياتهم قد سمت، فوق اللحم والدم؟! هل أدركهم صغر النفس، في قفر تلك البرية المنعزلة؟!

هل انهارت قدرتهم، على الاحتمال بصبر، من طول زمان جهادهم؟! وهل ضعفت أجسادهم خلال السنين الطويلة، بسبب عوز الاحتياجات الضرورية؟! أية جهادات وأتعاب ومشقات احتملوها؟!

كيف واجهوا بشجاعة، وهدوء الحروب المختلفة، التي كانت تثيرها الأرواح الشريرة ضدهم؟! كيف لم يتكاسلوا، في أعمالهم الشاقة المتعبة، خلال حياتهم كلها، وحتى نهاية أيامهم؟!

كيف لم تدرك الكآبة أرواحهم، بسبب العزلة المطلقة؟!

وقد انقطعوا تماماً، من كل التعزيات المرئية؟!

هل توجد حقاً كل هذه القوة، في الطبيعة البشرية؟!

كيف حفظتهم القوة الإلهية، دون ان يلحقهم أي ضرر، خلال كل هذه التجارب المتنوعة؟! وكيف زوَّدت كل واحد منهم، بكل أنواع المعونات، بحسب تنوع أماكن سكناهم، وهكذا كانت توفِّر، لكل واحد الحاجة، التي تعوزه؟!



📖 ولأجل تذكّره {الراهب} حياة القديسين، التي يتصورها باسترجاع سيرهم، وتأمله فيهم، يختفي القنوط منذ الآن فصاعداً، ويهرب الكسل، وتتقوى رجلاه، ويفارق النعاس أجفانه، ويتشجع فكره، ويُطرد الخوف، وتنهزم الطياشة، وينجمع العقل، ويشتعل في القلب، لهيب الغيرة المتوقدة، ويملك في النفس، فرحٌ يفوق الوصف.

📖 كما إن الدموع الحلوة تبلل خدَّيه، والبهجة الروحية تُسكر الذهن، وتمتلئ النفس بتعزيات لا ينطق بها، ويسند الرجاء القلب، ويجعله شجاعاً. حينئذ يتهيأ لذلك الإنسان، أثناء السهر المملوء خيرات، انه يسكن السماء. فبهذه الأساليب، وما أشبهها، يتقدم الذين يجتهدون في السهر بمعرفة، لأنه ليس شيء يجعل العقل مُضيئاً وفَرحاً، ويطرد الأفكار الشريرة، ويبهج النفس مثل الأسهار المتواصلة.

📖 لأنهم سمعوا مخلصنا في مواضع كثيرة يحثنا باهتمام شديد ويقول: «اسهروا إذا وصلوا في كل حين»، و«اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة»، وأيضاً «صلوا ولا تملوا» وغير ذلك.

📖 وكما لو كان تعليمه لنا بالكلام لا يكفي، أعطانا هو نفسه مثالاً بشخصه، إذ كان في كل حين يكرم عمل الصلاة فوق كل شيء، وهكذا كان يعتزل دائماً وحده للصلاة، وليس بلا ترتيب، ولكنه كان يختار الليل لهذا العمل، كما اختار البرية كمكان مناسب. وبهذا علَّمنا أن ننسحب بعيداً عن كل جلبة وضوضاء، حتى يمكننا ان نصلي في هدوء كما يليق.

📖 وهكذا فان آباءنا ... فضَّلوا السكون، والابتعاد عن كل الأشياء، لكي يمكنهم، أن يمكثوا بلا انقطاع، بالقرب من الله، بواسطة صلاتهم المستمرة. فقد لجأوا إلى البرية، ليس هرباً من العوائق، التي تعطل خدمتهم المتصلة فحسب، بل ولئلا يعرض لهم، أي شيء غريب من الخارج، ويعكِّر صفاء استنارة عقلهم، ويزعج أسهارهم البهجة، التي

هي نور للنفس.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر التاسع ـ صفحة ٩٩ ـ ١٠٣

📖 **٥ـ** إن كان ذِكر الفضلاء، يجدد فينا شهوة الفضيلة إذا ما تفاوضنا معهم بأفكارنا. فان ذكر الفسقة أيضاً، يجدد في ضميرنا الشهوة النجسة إذا ما ذكرناهم.
📖 لان ذِكر أي منهما، يرسم في عقلنا إفراز {نوع} أعماله.

📖 **٦ـ** ومن هاهنا نستدل على إن الذين اقتربوا، من الوصول إلى رتبة الطهارة، يؤهَّلون على الدوام، لنظر إناس قديسين في {رؤى} الليل، وتكون لهم في النهار مادة للجَذَل {الفرح}، والانشراح بالمفاوضة العقلية بفكرهم. لان منظر القديسين إذا ما ارتسم في النفس يزيد فيها حرارة عمل الفضائل، ويشعل فيها ناراً مضطرمة، بمحبة الفضيلة.

📖 **٧ـ** مَن اعتاد دائماً، على التنازل للمفاوضة الرديئة، تصنع الشياطين معه هكذا، وتتشكل وتأخذ لنفسها أشباهاً وخيالات، وتُظهر للنفس مناظر تثيرها بزيادة، وتذكِّرها في النهار بهذه الأشياء، التي أظهروها لها في الحلم.
📖 وفي أحيان أخرى ترعب النفس، وتزعجها بمناظر مخيفة، فتضعفها وتظهر لها صعوبة سيرة السكون، والوحدة وأمور أخرى.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر التاسع ـ صفحة ١٩٧ ـ ١٩٨

📖 **٩ـ ...** إذا قرانا في كتب الآباء ووجدنا المكتوب فيها على معرفة الحق، لا نطغى ونظن إننا بقراءة الكلام فقط، وتفكيرنا فيه بمعرفة نفسانية، نصير بغتة داخل أسرار سيرتهم الروحية، لأنهم قد احتملوا أولاً ضوائق كثيرة مدة طويلة، وصلبوا أنفسهم بالأعمال لأجل المسيح، وطهَّروا قلوبهم من كل دنس الجسد والروح، وأشرق لهم الشعاع الممجد الروحاني. والذي لا يداوم على قراءة الكتب، هو

سائر في التيه، لأنه إذا أخطأ لا يحسّ.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر التاسع والثلاثون ـ صفحة ٣٠٠ ـ ٣٠١

📖 **٢١ـ ...** الآباء القدماء قد جسروا على الحياة والموت، وذاقوا كل التجارب، واحتملوا كل الضوائق، وأسلموا ذواتهم ذبائح روحانية، وتضرعوا إلى المسيح بدموع، حتى جاد عليهم بمواهب النعمة، فأُهِّلوا لمعرفة الروح، وصاروا مسكناً لله، وصنعوا العجائب وأحسُّوا بالأسرار والاستعلامات، ووصل {السرُّ} إلينا شيئاً فشيئاً نحن الذين لنا الاسم والشكل فقط.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر التاسع والثلاثون ـ صفحة ٣٠٣

📖 **٧ـ** إن كنت حقاً تريد أن تصعد لصليب الحياة أيها الحبيب، أولاً غُصْ وأسبح في الكتب بالكلية، واجعل قلبك فردوس الكتب، وعقلك ينبوع الحب.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثاني ـ الميمر التاسع والثلاثون ـ صفحة ٣٣٣

📖 **٢٢ـ** ثابر على القراءة في الهدوء، لكي يُرشَد عقلك دائماً، في أعاجيب الله، لتكن قراءتك في هدوءٍ من الكل، وأعتق ذاتك من فرط الاهتمام بالجسد، ومن اضطراب الأمور، حتى تذوق في نفسك، مذاقةً لذيذةً، بأفهام حلوة تفوق الحواس، وتحس بها نفسك، بمداومتها بهذه الأفهام.
ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الثالث ـ الميمر الأول ـ صفحة ١٤

📖 **٢٩ـ ...** بمقدار ما يهدأ القلب من الأمور والتذكارات التي من خارج، يقبل العقل الدهش من الأقوال الإلهية. فمن شان النفس، أن تستبدل محادثة بمحادثة.

📖 إذا ما اجتهدنا أن نُظهر اهتماماً يسيراً {وصبراً}، فلكي تستبدل محادثة بأخرى، أعكف على قراءة الكتب، التي تُظهر لك دقة طرق التدبير والتاؤريا، وعلى فهم سير، وتدبير القديسين.

📖 ٣٠- وإذا ما نهضتَ إلى الصلاة والقانون، فعوض الهذيذ بالأمور العالمية، يرتسم في فكرك الهذيذ الذي من الكتب، وبهذا الهذيذ يُمحى من نفسك ذكر الأشياء التي نظرتها وسمعتها من قبل. ويبتدئ بعد ذلك عقلك بالطهارة. وهذا هو معنى المكتوب: «إن النفس تُعان من القراءة، إذا ما مثلت في الصلاة»، وأيضاً: «تستنير في الصلاة، من القراءة». تأمل أيها الإنسان، ماذا تقرأ. ألعلَّ من قراءة الأسطر يعرف الإنسان هذه الأمور.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الثالث - الميمر الأول - صفحة ١٧ - ١٨

📖 ٤٠- أو إن مذاقه العسل تعبر في فم القارئ، من غير عمل؟! لإنك إن لم تجاهد ما تجد، وان لم تدق الباب دائماً بحرارة، وتواصل السهر، فلن يُسمع منك. والذي لا يداوم قراءة الكتب فهو يسير في التيه، لأنه إذا أخطأ لا يحس.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الثالث - الميمر الأول - صفحة ٢٣

📖 ١٧- الهذيذ في الكتب الإلهية يُكثِر نمو النطقية {الهج} في النفس إلى الله، ويُغيِّر ويقلب غرض الفكر حسب طريق {نوع} القراءة، فينبغي لك قراءة الكتب التي تُكثِر {الحديث} في الاحتراس والتحريض على تقويم السيرة، والتي فيها تاورية الحلاوة بالله، أو أفكار الدهش به.

📖 ١٨- تغيُّر الكلام في معنى الفضيلة يجدد كل ساعة شهوة الفضيلة في النفس، فهناك قراءة تُعلِّمك ماذا تصنع، وهناك قراءة تشعل النفس بذكر حلاوة الفضيلة، وتضع مذاقة تنعمها بالكلام الحلو في مذاقة الإنسان العقلية.

📖 ١٩- كن مداوماً على الهذيذ في الكتب وسير القديسين، لأنه من التذكار والنظر الدائم في الكتب وفي طرق سير الآباء تكثر في قلبك

أفكار حارة مع عدم ضجر، وتجعل أعمال مخافة الله سهلة أمام عينيك، والضيقات والوحدة هينة، وحسب ما يُهمَل الهذيذ بالصلاح بعينيك، هكذا تبطل الشهوة إليه، لأنه بمقدار غذاء النفس صالحاً كان أم رديئاً، هكذا يتغير حسن مزاجها أما لصحة الحركات وإما لمرضها.

📖 **٢٠-** ويتقوى الضمير جداً بسماع الأقوال النافعة، وبنظر الفكر في أعمال القديسين واختلاف طرقهم وقفر مساكنهم ومواضعهم الهادئة، وكما أن اختلاف تذكارات المدن يكدر النفس، كذلك فإن ذكر مواضع القديسين يثير فيها حرارة ويمنحها فرحاً، ويملأها أفكاراً نافعة.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الأول - الميمر الثالث - صفحة ٥٩ - ٦٠

📖 **٣٦-** عمل القراءة هو أيضاً مرتفع جداً، لأنه هو الباب الذي به يدخل الذهن إلى الأسرار الإلهية، ويأخذ قوة حسب نقاوة الصلاة، ومنه أيضاً يتقوى الهذيذ الذي هو مبدأ هذه السيرة، وبدون القراءة لا يمكن للذهن أن يدنو من الله، لأنها ترفع العقل وتقيمه عند الله كل وقت، وليس عمل يأتي به الإنسان إلى قدام مثله، هذا إذا كانت قراءته من أجل الحق.

ميامر مار إسحق السرياني - الجزء الأول - الميمر الخامس - صفحة ١١٩

📖 **٢١-** ليس بالعلم الكثير، ولا بالكتب المختلفة، نقتني النقاوة، أو نجدها، بل بالاعتناء بالصلاة، فماذا تنفع معرفة كتب كثيرة، وتفسير معانيها، وأي حاجة بها لجمع الضمير، ونقاوة الصلاة.

📖 في الحقيقة إن الراهب بعد أن يكون قد ترك العالم، إن هو عاد، فقرأ شيئاً من الكتب، ما خلا كتب سيرة الرهبنة، فسواء كان عالماً حكيماً، أو أميًّا، فهو يكون قد ضيَّع أول طريق الرهبنة، وقد مال ضميره، ليطلب الانشراح بتلك الكتب الأخرى.

📖 ولو أصعدتك الكتب البرانية إلى السماء، فالقراءة فيها لا تنفعك،

لأنها تعلِّمك طرقاً أخرى غريبة، تكفيك كتب الحديثة {والعتيقة}، والتي على سيرة الوحدة {لترشدك} إلى كمال المعرفة، وحُسن الضمير

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ صفحة ١١ ـ ١٢



٢ـ الباب الذي يدخل منه القديسون لمعرفة الحق، هو تعليم الكتب المقدسة، لأنهم بنور نطقية النفس {قوتها العاقلة} يَجسُّون الأسرار المخفية في الكتب، وبالأفهام العميقة يعرفون عناية الله وسياسته وحكمة {أعمال} خلقته، وأمجاد العالم الجديد.

٣- وكلما تزداد وتتلطف {ترتقي} التدابير، كلما يزداد {القديسون} بالأكثر في العلم والأفهام، فيجسُّون السماء والأرض وكل ما فيهما، وذلك بحسب غرض ضميرهم.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثاني ـ صفحة ٩٧ ـ ٩٨

٢٠ـ ليس لنا أن نتعلم علوم الحق من دون: قراءة الكتب المقدسة، والهذيذ بالفضائل، وأعمال التوبة، والصلوات والدموع.

٢١ـ قراءة الكتب المقدسة هي مادة لتعليم معرفة الحق.

٢٤ـ وإن كان العقل من قوة الكتب المقدسة يتيقظ كي يقبل ثانياً زروع التعاليم الروحانية، لكن الزروع الصالحة التي لطبيعة خلقتنا هي التي توقظه.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثالث ـ صفحة ١٢٠

٣٢ـ طوبى ثم طوبى، للعقل الذي تاجر بتصورات {تأملات} الآخرين، واستغنى في ذاته بالغنى الروحاني، وصار غنياً بما له، وبالآخرين. هذا هو الكاتب الذي قال عنه سيدنا إنه قد تتلمذ لملكوت السماء.

ميامر مار إسحق السرياني ـ الجزء الرابع ـ رؤوس المعرفة ـ الميمر الثالث ـ صفحة ١٢١

📖 **افهم هذا جيداً:** إن معرفة أسرار الله لا تُدرك عندما يكون البطن مليئاً. طالع باستمرار وبلا ملل كتب المعلمين، التي تتكلم عن العناية الإلهية، لأنها تقود الذهن إلى مشاهدة نظام مخلوقات الله، ومعرفة أعماله، وتقويه، وتؤهله لاقتناء معان نيرة من معانيها الشفافة، وتقوده إلى أدراك مخلوقاته بوضوح.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٩٢



📖 لا تساو أقوال ذوي الخبرة، بأقوال المزيفين، الذين يرفضون الأقوال الإلهية، حتى لا تظل ماكثاً في الظلمة إلى نهاية حياتك، وتحرم من فائدتها، وتضطرب أثناء الحرب كمن غشى عقله ظلام، فتسقط في الحفرة وأنت تظن إنك فعلت خيراً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٩٢



📖 اعكف على مطالعة الكتاب المقدس، وحياة القديسين التي تريك الطريق المؤدي إلى المشاهدة الدقيقة، فتنتقل من علاقة إلى أخرى. وإن لم تتذوق حلاوتها منذ البداية بسبب الإبهام المحيط بها.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثالثة والعشرون ـ صفحة ٩٤



📖 إذا كان ذهنك مشتتاً، وغير قادر على الصلاة، ثابر على المطالعة، واعلم أن الكتب ليست كلها مفيدة {بل فقط ما يتناسب ما سيرتك}.

📖 أحبب السكينة أكثر من العمل، وإذا كان بإمكانك فضل المطالعة حتى على المزمور، لأنها أمّ الصلاة النقية.

📖 لا تكن مهملاً أبداً، واحذر التشتت دائماً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الرابعة والثلاثون ـ صفحة ١٣٣



📖 يجب أن تكون في نفوسنا غيرة ضد الشياطين، كغيرة المكابين، والأنبياء القديسين، والرسل، والأبرار، والشهداء. والصديقين الذين حافظوا على النواميس الإلهية، ووصايا الروح، في أمكنة مرعبة، وسط تجارب عنيفة.

📖 وطرحوا وراءهم العالم، والجسد، وصبروا في برهم، منتصرين على المخاطر المحيطة بنفوسهم، وأجسادهم، بشجاعة. لقد كُتبت أسماؤهم في سفر الحياة حتى مجيء المسيح، وتعاليمهم حفظت بأمر الله لتعليمنا وشفائنا. كما يشهد بولس المغبوط في (رو ١٥: ٤).

📖 فلنكن حكماء، ولنتعلم سبل الله، ولنتذكر سيرة حياتهم كأمثال حية، ولنقتد بهم، ونسر في طريقهم. ما ألذ الأقوال الإلهية عند النفس الفطنة، فإنها مثل غذاء يلهب الجسد. سير الصديقين شهيّة على آذان الودعاء، إنها مثل الماء الجاري باستمرار على نبتة مغروسة حديثاً.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة السادسة والأربعون ـ صفحة ١٧٠

{٢}

توما الكمبيسي

📖 **في قدوة الآباء القديسين:**

📖 قدوة الآباء القديسين الحية، الذي تلألأ فيهم الكمال والسيرة الرهبانية الحقة، تر كم هو قليل ما نفعله نحن، حتى كأنه لا شيء.

📖 آه! ما حياتنا إذا قيست بحياتهم؟

📖 إن القديسين وأحباء المسيح، قد خدموا الرب في الجوع والعطش، في البردّ والعري، في التعب والكد، في الأسهار والأصوام، في الصلوات والتأملاتّ المقدسة، في الاضطهادات والتعييرات الكثيرة.

📖 آه! ما أكثرّ وأشد المضايق، التي قاساها الرسل والشهداء، والمعترفون والعذارى، وسائر الذين أرادوا أن يقتفوا آثار المسيح!

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ٤٨

📖 فإنهم قد أبغضوا نفوسهم في هذا العالم، ليحفظوها للحياة الأبدية

📖 آه! ما أضيق وأقشف العيشة التي عاشها الآباء القديسون في القفر!

ما أطولّ وأشد ما قاسوا من التجارب!

📖 ما أكثر ما ضايقهمّ العدو! ما أوفرّ وأحر ماّ قدموا لله من الصلوات! ماّ أشد ما كان إمساكهم! ما أعظم ما كانت غيرتهم ونشاطهمّ للتقدم الروحي! ما أشد ما كان جهادهم في قهر الرذائل! ما أخلص وأقوم ما كان توجيه نيتهم الى الله!

📖 في النهار كانوا يشتغلون، وفي الليل يتفرغون للتهجد الطويل، وإن لم يكونوا ليكفوا عن الصلاة العقلية أثناء العمل.

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - صفحة ٤٩



📖 لقد كانوا يقضون وقتهم كله فيما هو نافع، وكل ساعةٍ يتفرغون فيها، كانت تبدو لهم قصيرة، ولعذوبة المشاهدة، كانوا ينسون حتى ضرورة القوت الجسدي.

📖 لقد زهدوا في جميع الثروات والرتب والكرامات، وفي الأصدقاء والأقارب، ولم يشتهوا امتلاكٍ شيء في العالم، وبالجهد كانوا يتناولون ضروريات المعيشة، بل كانواّ يغتمون لخدمة الجسد، حتى في ضرورياته.

📖 لقد كانوا فقراء في الأرضيات، ولكن أغنياءً جدا في النعمة والفضائل. لقد كانوا، بالظاهر، في عوز، أما في الداخل، فنعمة الله وتعزيته كانتا تنعشانهم.

📖 كانوا غرباء عن العالم، ولكنّ مقربين الى الله، وأصدقاء له مؤالفين. كانوا في أعين أنفسهم كلا شيء، وفي نظر العالم محتقرين، أما في عيني الله، فكانوا كراماً ومحبوبين.

كتاب الاقتداء بالمسيح - توما الكمبيسي - صفحة ٥٠



📖 كانوا ثابتين في التواضع الحقيقي، عائشين في الطاعة الساذجة، سالكين في المحبة والصبر، فكانوا يتقدمون كل يوم بالروح، وينالون حظوة عظيمة لدى الله. لقد اعطوا كقدوة لجميع الرهبان، ومن الواجب أن تستحثنا سيرتهم على التقدم في الكمال، أكثر مما أن

يستدرجنا الى التراخي عدد الفاترين.

📖 ما أعظم ما كانت حرارة جميع الرهبان، عند تأسيس رهبانيتهم المقدسة! ما أعظم ما كان ميلهم الى الصلاة، وتنافسهم في الفضيلة! ما أدق ما كان حفظهم للنظام! كم ازدهر احترامهم وطاعتهم، في كل شيء لقانون معلمهم!

📖 إن ما بقي من آثارهم يشهد الى الآن، أنهم كانوا، في الحقيقة، رجالاً قديسين كاملين، جاهدوا بيأس عظيم، فداسوا العالم بأرجلهم.

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ٥١



📖 أما الآن، فيحسب عظيماً من لاّ يتعدى القوانين، ومن يستطيع أن يحتمل، بصبر، النير الذي قد رضي به من قبل.

📖 يا لفتورنا وتوانينا! يا لسرعة انحطاطنا عن حرارتنا الأولى! فقد أصبح العيش نفسه لناً سأما، لكسلنا وفتورنا!

📖 أماَ أنت، فبعد ما رأيت من قدوة ذوي الورع الكثيرة، فعسى ألا ترقد فيكً تماما، الغيرة علىّ التقدم في الفضائل

كتاب الاقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ٥٢



{٣}
القديس يوحنا السلمي

📖 من يسمع أخبار فضائل القديسين الفائقة الطبيعة، وييأس من نفسه، يكون كثير الغباوة، لأن هذه الأخبار من شأنها بالعكس، أن تفيدك جدا بأحد أمرين: فهي أما تحثك على مماثلتها بشجاعة مقدسة، أو تأتي بك إلى معرفة نفسك، معرفة جزيلة، وبالتالي إلى تأنيبها بتواضع مثلث القداسة، إذ تظهر لك عمق ضعفك.

📖 إن الاستماع إلى ما أحكمه الآباء من الأتعاب والفضائل، ينبه العقل، والنفس، إلى اقتفاء آثارهم، والإصغاء إلى أقوالهم يرشد

السالكين في أثرهم إلى مماثلتهم. كما يزداد إحساس الفقراء بفقرهم، إذا أبصروا كنوز الملوك، كذلك تتضع النفس إذا طالعت فضائل الآباء الجليلة.

من شأن المطالعة أن تضيء العقل بمقدار ليس بقليل، لأن تلك الأقوال هي للروح القدس، وهي تقوم الذين يواظبون عليها، إذا كنت مجاهدا، فليكن لك ما تقرأه سبيلا إلى العمل به، لأنك إذا عملت به، تصبح قراءة ما عداه فضيلة زائدة، اطلب بالحري أن تستضيء بأقوال الخلاص، عن طريق الأتعاب، لا عن طريق المطالعة {فقط}.

كتاب السلم صفحة ١٧٧

{٤}

القديس أنبا برصنوفيوس

أجود ما تقرأ فيه هو قصص الآباء، لأنه بهذا يستنير العقل بالرب.

لا تضق ذرعاً بالأتعاب، والأعمال الجسدية، التي تحملها من أجل مجمع.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٩٨



القراءة فلتكن في قصص الآباء، وكما قال أحد الآباء "تعب الجسد بكثرة القراءة ينقي العقل" وتعليمهم، لأن بهذا يستنير العقل.

الأنبا برصنوفيوس ـ سيرته وأقواله ـ صفحة ٩٩



١١- إجابة الشيخ الكبير {برصنوفيوس} للأب {يوحنا} ينصحه أن يتذكّر باستمرار الأمور التي كُتِبَت إليه لمنفعته وتثبيت قلبه:

قال سليمان عن والديه: «اللذان علّماني أيضاً وقالا لي: ليثبت كلامنا في قلبك» {أم٤: ٤ حسب النص}،

هكذا أنا أيضاً أقول لك أيها الأخ: لتثبت كلماتي في قلبك.

📖 وتأمل باستمرار في كل ما كتبتُه لك، كما قال الله على فم موسى النبي: «قُصّها على أولادك، وتكلّم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامةً على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك، واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» {تث٦: ٧و٨}. أظهر هذه نفسها إذا في إنجازك للأعمال، وإلهي سيكون معك إلى دهر الدهور آمين.

أقوال القديس برصنوفيوس ـ كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الثالث ـ صفحة ٢٨٧

{٥}

قديسون أخرون

📖 ٥ـ عندما كان شاول يختنق من روح شرير، غنى داود بمصاحبة القيثارة وأراحه {ق.م. ١صم ١٦: ١٤ ـ ٢٣}. بطريقة مماثلة: كل مقالة روحية، محلاة بتأملات مستيكية، تجلب الراحة للفكر المسكون بالأرواح الشريرة، وتحرره من القلق الذي يخنقه.

الفيلوكاليا ـ الجزء الثاني ـ القديس مكسيموس المعترف ـ مئتا نص كُتبَتْ لطلاسيوس ـ المئوية الثانية ـ صفحة ١٤٥

{٦}

كتاب فردوس الآباء

📖 **قال الأب أولوجيوس الذي من الهناطون:**

📖 كان أحد الإخوة يسكن في منطقة القلالي، وبعد أن أمضى عشرين سنة عاكفًا على القراءة ليلاً ونهارًا، قام ذات يوم وباع كل الكتب التي كان يملكها، وأخذ رداءه وسار نحو البرية الداخلية، فقابله الأب إسحق وقال له: إلى أين أنت ذاهبٌ يا بُنيَّ؟

📖 فأجابه الأخ: منذ عشرين سنة، يا أبي، وأنا أسمع فقط أقوال

الأسفار المقدسة، والآن أريد أن أنفِّذ عمليًا ما سمعته من هذه الأسفار. فصلَّى الشيخ من أجله وتركه يذهب.

القديس إسحق قس القلالي - كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥١



وقيل عن القديس إسحق قس القلالي:

إنه لما جاء وقت وفاته اجتمع حوله الشيوخ والإخوة قائلين:" ماذا سنفعل بعدك يا أبانا؟

فقال لهم: كما كنتُ أسلكُ أمامكم هكذا اسلكوا، وإذا شئتم أن تقتفوا إثر خطواتي وتحفظوا وصايا الله، فسيهبكم الله نعمته ويحفظ هذا المكان، ولكن إن لم تحفظوا وصاياه فلن يمكنكم أن تثبتوا في هذا المكان. إننا لما رقد آباؤنا امتلأنا حُزنًا، ولكننا لما حفظنا وصايا إلهنا وتوجيهاتهم، ثبتنا مثل الوقت الذي كانوا فيه معنا تمامًا، وأنتم أيضاً افعلوا هكذا وأنتم تخلصون!

القديس إسحق قس القلالي - كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٢٥١

قال أخٌ مرةً لأنبا يوئس: إنني أحب الكتب الكثيرة.

فقال له الشيخ: الذي يستحق أن يقتني معرفة الله، ومحبة التطلُّع إليه، لا يحتاج إلى كتب كثيرة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧٦٢

قال القديس سمعان العمودي:

الكلام الروحاني يغذّي النفس ويُحييها، كما أنّ الخبز يغذّي الجسد ويُحييه. وهو نور للعينين، وسراج للقدمين، ويشفي من أمراض الخطية. وكل مَنْ لا يعمل بكلام الناموس فقد احتقر واضع الناموس.

ولا يكفي استماع الناموس، والتكلُّم به دون العمل بما قيل فيه.

فكما نؤمن أن الله رحيم، نؤمن أيضاً أنه صادق، وأنه عادل فيجازي كل واحد كعمله. له المجد.

كتاب فردوس الآباء - القديس سمعان العمودي - الجزء الثالث ١٤٨



وقالوا أيضاً: المناقشة في الآراء، والقراءة في العقائد المختلفة ... كل هذه تطرد من الإنسان خشوعه.

أما أقوال الآباء، وأخبار القديسين، فهي تنير النفس وتلينها.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الثالث - قصص وأقوال الآباء غير المعروفين - الصفحة ٥٣٠



قال الطوباوي ذهبي الفم:

"عندما تجلس مع نفسك لقراءة كلام الله، أطلب أولاً انفتاح عيون قلبك، حتى لا تقرأ المكتوب فحسب، بل أيضاً تتممه، بحيث أننا لا نعبر على سير وأقوال القديسين لكي تديننا".

كتاب فردوس الآباء - القديس يوحنا ذهبي الفم - الجزء الثالث - صفحة ٩٠

{٧}

مار إفرام السرياني

إن سيرة الصديقين لبهية.

وكيف صارت بَهية جميلة إلا بالصبر.

فحب الصبر أيها العابد، بما أنه أم الشجاعة.

أما المترنم داود فطوب قائلاً: "أصطبر للرب، وأحفظ طريقه".

وأما بولس فيعلم كيف تقتنى هذه الفضيلة بقوله: "إن الحزن يصنع صبراً" فإذا تصرفت في هذه الفضيلة، تجد الرجاء ينبوع الصالحات، والرجاء لن يخزي. فأخضع الآن للرب، وتضرع إليه، فتصادف من هذه ما يتلوه فيعطيك كافة مسائلات قلبك.

فماذا يكون أسعد غبطة من هذا، أن تقتني سمعاً من الملك هكذا صارخاً بوداعة، من ذا لا يؤثر أن تكون مسامع القاضي مفتوحة وسامعة له.

أنت أيها الأخ فاعل الفضيلة، أستأجرك المسيح لكرمه، فما دام لك

وقت أعمل الصلاح. أسمع بولس الرسول قائلاً: "مهما زرعه الإنسان إياه يحصد"

🕮 أزرع في الروح فتحصد حياة أبدية، لأنه زعم من يزرع في جسده، من جسده يحصد بلاء. أسمع الواعظ النصوح قائلاً: "ازرعوا في ذاتكم العدل فتقطفون ثمر الحياة"

🕮 لا تسأم من العمل، إذ تشاهد قدامك الرجاء.

🕮 لأنه حيث الجهادات، فهناك رايات الغلبة.

🕮 وأين ما تكون الحروب، فهناك الكرامات.

🕮 وحيث ما يكون الصراع فهناك الأكاليل.

🕮 فإذ تشاهد هذه الفوائد، فروض نفسك بالصبر.

🕮 أصرخ مع ذاتك كل حين مع القديسين قائلاً: "تشجع وليتأيد قلبك وأصطبر للرب" هيئ للانصراف أعمالك وأستعد في الحقل، فالحقل هو هذا العالم، خذ مثالاً نافعاً العهد العتيق والعهد الجديد.

🕮 سيج حول قطعانك بالأشواك، متكاتفاً بالصوم والصلاة بالتعليم، إن كان لك مثل هذا السياج، فلا يدخل الوحش أعني المحال.

🕮 فلح نفسك مثل كرم جيد، وكما أن محافظي الكروم يصفقون بأيديهم، ويزعقون بصوتِهم، ويُعرِّفون بذلك الذين يغتالونَهم.

🕮 كذلك أهتف أنت بالصلاة، وكبر بالترنيم، فتطرد الثعلب الوحش الخبيث الذي هو المحال، الذي عنه يقول الكتاب: "اقتنصوا بذاتكم ثعالباً صغاراً الخ" صد العدو كل حين. إن رشق قلبك بشهوة قبيحة.

🕮 إن رمى بمقلاع نفسك، وزج فيها أفكاراً دنسة.

🕮 فأنصب نحوه ترس الأمانة. وألبس خوذة الرجاء.

🕮 وأستل سيف الروح، الذي هو قول الله.

🕮 وإذا تسلحت مقابل العدو، فأصبر ولا تسأم في الحرب.

🕮 فُقْ في كل شيء، وقل: "أنا لا تخفى عني معقولاته".

📖 أفرح في كل حين كما كتب قائلاً: "فليعرف كافة الناس دعتكم، وليبرق تقوى الله في قلبك" لا تكن جندياً طارحاً سلاحه.

📖 ولا فاعلاً جباناً وعاجزاً.

📖 لا تَهرب من الأكاليل، فالعمر قصير، والدينونة طويلة.

📖 تبصّر في هذه أيها العابد. أصرخ بقلبك وقل مع القديسين: "تشجع وليتأيد قلبك، وأصبر للرب"

📖 شابه داود برميه حجر واحد مع المحارب، فالملائكة وقوف يبصرون سيرتك، لأننا قد صرنا مشهداً للعالم، والملائكة، والناس.

📖 فإن رأوك تقوِّم الفضيلة ظافراً يُسرون، وإن رأوك مغلوباً ينصرفون مقطبين، لأنَهم لا يحتملون أن يشاهدوا الشياطين يقهقهون عليك. أخرط عوض السيف مخافة الله، لأن خشية الله هي كسيف ذي حدين، يقطع كل شهوة خبيثة.

📖 فأتخذ في عقلك كل وقت خشية الله، متذكراً في عقلك اليوم الأخير المخوف، حين تضطرم السماوات وتنحل، وتحترق الأرض وكافة الأعمال التي فيها، حين تنتشر النجوم كالورق، والشمس والقمر يظلمان، ولا يمنحان ضوءهما.

📖 حين يظهر ابن الله، وينحدر من السماوات إلى الأرض، وقوات السماوات تضطرب حين يتسارع إحضار الملائكة، وتتواتر أصوات الأصوار، وقدامة نار محرقة جارية عدواً تنظف المسكونة، وحوله زوبعة شديدة حين تصير زلازل مرهبة، وبروق لم تصر أبداً، ولن تصير إلا في ذلك اليوم، حتى قوات السماوات يشملهم الرعب والرعدة. فكيف مزمع أن نكون يا إخوتي؟

📖 أية خشية، أو أي رعب يشملنا؟

📖 تأمل يا أخي بني إسرائيل في البرية، أنَهم ما استطاعوا أن يحتملوا

الضباب والظلام وخوار الأصوار، وصوت المتكلم في وسط النار، بل أبو أن يزيدهم كلمة، لأنَهم بالحقيقة ما احتملوا ما كان بازائهم.

🕮 ومع هذا أنه لم ينحدر بغضب، ولا خاطبهم بسخط، بل بتسلية، محققاً عندهم أن الذي معهم هو الإله.

🕮 أسمع إذا يا أخي إن لم يستطيعوا احتمال وروده الذي كان بتسلية، حين لم تلتهب السماوات وتنحل، وما الأرض وما فيها احترقت، ولا ضربت الأصوار شديداً، كما يزمع هو أن يتوق ذلك الصور فينبه الراقدين منذ الدهر، ولا ظهرت نار تغسل كافة المسكونة، ولا صار شيء من الخوف العتيد أن يصير، ومع ذلك لم يستطيعوا أن يحتملوا.

🕮 فماذا نصنع إذا، إذا أنحدر بغضب وغيظ لا يقاسان، وجلس على عرش مجده، وأستدعى الأرض من مشارق الشمس إلى مغاربِها، وكافة الأقطار إلى محاكمة شعبه، ليجازي كل أحد نظير أعماله.

🕮 الويل لنا، كيف سبيلنا أن نكون حين نمثل عراة بادية أعناقنا، مزمعين أن ندخل إلى الموقف المرهوب.

🕮 أفِّ أين حينئذ شجاعة البشرة؟ أين الجمال المزور الغير نافع؟

🕮 أين التذاذ الناس بالآلام؟ أين حينئذ الدالة الموقحة الفاقدة الحياء؟

🕮 أين حينئذ زينة الثياب؟ أين وقتئذٍ لذة الخطيئة النجسة؟

🕮 أين حينئذ المحتسبون أن الزنا بالذكور لذة؟

🕮 أين حينئذٍ الذين كانوا يشربون الخمر على الطبول والأغاني الموسيقية، ولا يعاينون أعمال الرب؟

🕮 أين حينئذ العائشون بالنفاق والتواني؟

🕮 أين حينئذٍ التنعم والبطر؟

🕮 كل تلك عبرت وزالت وانحلت بمنزلة الرياح.

🕮 أين محبة الفضة، وحب الاقتناء؟

📖 أين الكبرياء النافرة الإنسانية الرافضة الكل، المحتسبة ذاتِها وحدها أنَها شيء؟ أين وقتئذٍ الشرف الفارغ الباطل، والمجد الإنساني؟

📖 أين التمرد؟ أين الملك؟ أين الرئيس؟ أين المدبر؟ أين السلطان؟

📖 أين المتبذخون بكثرة الغنى؟ والمتهاونون بالله؟

📖 هناك إذا أبصروا يتعجبون هكذا، ويقلقون ويتزلزلون، ويشملهم الرعب والمخاض كالتي تلد، ويسحقون بريح عاصف.

📖 أين حينئذٍ حكمة الحكماء؟ أين مكرهم الباطل؟

📖 اضطربوا وناموا كالسكارى، وابتلعت كافة حكمتهم، أين حينئذٍ الحكيم؟ أين الكاتب؟ أين الملتمس هذا الدهر الباطل؟

📖 يا أخي ردد الفكر كيف سبيلنا أن نكون إذا طولبنا أن نؤدي جواباً عن الأعمال التي عملناها، إن كانت صغاراً، أم كباراً، لأنه على كلمة بطالة سنعطي القاضي العادل جواباً.

📖 كيف يجب أن نكون لنجد في تلك الساعة نعمة أمامه؟

📖 وأي فرح يستقبلنا إذا عُزلنا عن يمين الملك.

📖 كيف نزمع أن نكون إذا سلم علينا الصديقون وصافحونا؟

📖 هناك يقبلك إبراهيم، واسحق، ويعقوب، وموسى، وداود وباقي الأنبياء، والرسل، والشهداء، وجماعة القديسين، الذين أرضوا الله في حياة أجسادهم.

📖 وجماعة الذين سمعت هنا سيرتِهم وتعجبت منها، وكنت تريد أن تعاينهم، هم يجيئون إليك هناك فيقبلونك، ويسلمون عليك مبتهجين بخلاصك. كيف تكون حينئذٍ؟

📖 وكيف هو ذاك الفرح الذي لا ينعته وصف، إذا قال الملك للواقفين عن يمينه ببشاشة: "تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم". فحينئذٍ يا أخي تأخذ ملك حسن البهاء.

📖 وتاج الجمال من يد الرب. وتملك مع المسيح.
📖 وترث الخيرات التي أعدها اللـه للذين يحبونه.
📖 وتكون بلا هم، ولا يذهلك حزن.
📖 تفكر يا أخي ما هو التملك في السماوات، والملك مع المسيح الذي هو معاينة وجهه الأقدس كل حين، وأنه هو يكون لك نجماً.
📖 لأنه في ذلك الحين تعطيك الشمس لا أنواراً للنهار، كما قال إشعياء، ولا القمر يضئ لك بالليل، لكن الرب يكون لك نوراً أبدياً، والإله مجدك.

📖 أنظر يا أخي أي شرف ومجد قد أعد للذين يتقونه، وللحافظين وصاياه. وأفتكر في هلاك الخطاة، إذا دخلوا إلى المجلس الرهيب، أي خزي يشملهم أمام القاضي العادل، حين لا يكون لهم جواب اعتذار. أي خجل يكتنفهم إذا افرزوا إلى يسار الملك.
📖 أي ظلمة تسقط عليهم، إذا كلمهم بسخطه، وأقلقهم بغضبه قائلاً: "انصرفوا عني أيها الملاعين إلى النار الأبدية المعدة للمحال ورسله" بأي ندب يولولون منتحبين نائحين، مساقين ليعذبوا إلى الدهور التي لا أخر لها. كيف مكان البكاء وصرير الأسنان، الذي يفرق منه الشيطان نفسه؟

📖 كيف جهنم النار؟ كيف الدود الذي لا يرقد، ونفثات السم؟
📖 ما أصعب تلك الظلمة البرانية، كيف الملائكة الموكلون بعذاب الغير رحومين، يعيرون ويقرعون بجفاوة، يزعق المعذبون بدوام وليس من يخلصهم، والرب لا يستجيب لهم.
📖 وحينئذٍ يعرفون أن كل أمور العالم باطلة.
📖 والأشياء التي ظنوها هنا مستلذة، وجدوها أمر من المر، والصدى.
📖 أين حينئذ لذة الخطيئة المسماة لذة كاذبة، لأن ليست لذة إلا مخافة الرب ومحبته، وبالحقيقة هذه اللذة تملأ النفس وتشبعها شحم وسمن.

📖 حينئذ يعرفون ذاتِهم، والأفعال التي فعلوها، ويعترفون أن حكومة الله مقسطة قائلين: "أننا سمعنا بِهذا، ولم نشاء أن نرجع عن أعمالنا الخبيثة"، فلا ينتفعون من هذه إذا قالوها.

📖 ويلي ويلي أنا المقتنص بخطايا لا تقاس.

📖 لأنني أخطأت أكثر من عدد رمل البحر، وقد انحنيت تحتها كما من حمل حديد، وليس لي دالة أتفرس، وأبصر علو السماء.

📖 إلى من ألتجئ إلا إليك أيها المحب للإنسان.

📖 إلا إليك أيها المحتمل السوء.

📖 ألهم ارحمني كرحمتك العظمى، وككثرة رأفاتك أمح أثمي.

📖 أغسلني كثيراً من ذنوبي، وطهرني من خطيئتي.

📖 فأنني عارف أثمي، وخطيئتي أمامي كل حين، إليك وحدك أخطأت، وقدامك صنعت الإثم.

📖 فإذ صنعته ألتجئ إليك، بما أنك عديم الحقد.

📖 إياك خالفت، وإليك لجأت من أجل كثرة خيريتك وتعطفك. وأتوسل هاتفاً أعرض بوجهك عن خطاياي، وأمح كافة آثامي من أجل اسمك.

📖 لأن ليس لي شيئاً أقربه إليك، لا عملاً صالحاً، ولا قلباً نقياً، لكنني أثق برأفاتك، وأطرح ذاتي أمامك، لكي ما تجدد فيَّ قلباً نقياً، وتوطدني بروح رئاسي، حتى لا أتكردس بسهولة في الخطية، بل أعبدك منذ الآن ببر وعدل كافة أيامي. لأنه إياك تسبح كافة قوات السماوات، ولك المجد والعز إلى الدهور.

📖 أطلب إليكم أيها الإخوة المحبوبون من الله، أن تحرصوا كل يوم، وتتذكروا هذه التعاليم، متذكري الأمانة، الرجاء، المحبة، التواضع.

📖 اختموا كل حين الصلوات، وتلاوة الكتب الإلهية بالسكوت.

📖 لأن هذه الفضائل إذا كانت حاضرة عندكم، وذائدة فيكم، فلا تكونوا

في معرفة ربنا يسوع المسيح بطالين، ولا غير مثمرين.

📖 والعابد الذي لم يقتني هذه بل يتوانى في خلاصه، هو أعمى شحاذ قد اشتمله نسيان خطاياه القديمة، وصح علية المثل أنه "كالكلب الراجع إلى قيئه، كالخنزير الذي يستحم ويتمرغ في حمأته".

📖 فإن الذين هربوا من أدناس العالم بمعرفة ربنا يسوع المسيح، ويلتفون بِها، ويلتفتون ثانياً وينغلبون، فقد صارت أواخرهم أشر من أوائلهم، ولقد كان أفضل لهم ألا يعرفوا طريق الحق، أوفق لهم من أنَهم بعد ما عرفوا عادوا إلى ورائهم.

📖 فمنذ الآن يا أحباء المسيح، وجنده المصطفين، لنتناول الأسلحة من التعاليم المقدم ذكرها، ونحفظها في قلبنا، لنستطيع أن نجاهد الجهاد النفيس، ونطأ كافة قوة العدو، وننجو من السخط الموافي الذي يحل بأبناء المعصية، ونجد رحمة ونعمة في ذلك اليوم المرهوب أمام القاضي العادل المجازي كل أحد نظير أعماله.

📖 الذي به وحده يليق المجد، إلى آباد الدهور. آمين.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة الثامنة عشر ـ صفحة ١١٧ ـ ١٢٥

المقالة السادسة والثلاثون

في أنواع الفضيلة

📖 إن في عقلي راسخ كل ساعة، المنظر الذي حدثتني به أيها الأخ، فلذلك جاهد إن تسير بما يكون موافقاً للدعوة العليا، لأنني عارف نشاطك وغيرتك إلى الله.

📖 فلذلك أشير عليك إذ لك نية إن تخلص، وليست لك خبرة بالسيرة ذات الفضيلة، إن تقتفي آثار الآباء والأخوة التامين، وتستفيد منهم كيف ينبغي لعبد الله إن يتصرف.

📖 الأمر الذي كنت أقوله لك دائماً، إن تعاين سيرة كل واحد منهم

وتتشبه بتدبيره، متفطناً في كل واحد منهم، متدرع السلاح في الدين البهي، منقاد إلى رأي الدعوة العليا. وتترقب بمبالغة من واحد أمانته الكاملة التي لا تتزعزع. وآخر اتكاله على الله.

وآخر تقتبس منه المحبة المضاعفة، بحب الله والقريب.

وكيف أحدهم بمخافة الله، يقي نفسه محفوظاً من كل أمر خبيث، ذي سيرة حية لا زلل ولا لوم فيها.

وآخر ممدوح من الكل، من أجل طهارة سيرته، وفقدها العيب.

لأن كثيرين يوجدون مثل هؤلاء، الذين عنهم كنت أقول لك أصغِ إلى أولئك، لا إلى المتواني.

الذين هم بيننا كالنجوم، لترى كيف أحدهم محارباً من الخبث بآلام متلونة، فيهرب إلى الله بالصلاة، ويلاصقه بالتخشع، والشوق، فيأخذ معونة النعمة، ويغلب الأفكار القبيحة والنجسة.

وآخر يتوب عما عمله من الزلات ببكاء غزير، وعبرات وزفرات نائحاً باكتئاب على خطاياه، معترفاً لله في الصلوات والأسهار، يشقي بالصوم والتعب، والاضطجاع على الأرض والاغتمام، مجتهداً إن يخلص نفسه بِهذه الأسلحة.

فجاهد أنت محارباً إلى الموت كجندي حقيقي، لأن النسك يا ولدي ليس هو لعباً، بل بتحرز كثير يقوم خلاص النفس.

فلذلك لم يبق واحدة من الفضائل لم أكتب لك عنها وأرسلها إليك، لكيلا تقول إنني لست أعرف ما أعمل، هكذا أجتهد إذا إن تسير زمان حياتك بفطنة، وبكل صنعة حسنة لترضي الله والناس.

فإنك إن دبرت نفسك هكذا، مراقباً زهد كل واحد من أخوتك الكامل، وسيرته بالله ذات فضيلة، فسيمكنك بسهولة إن تصعد نفسك إلى علو الفضائل.



📖 مشاهداً زهد أحدهم في القنية، كيف قد أهمل كل الأشياء، مجاهداً إن يوقف عقله من كل جهة بلا هم، مثابراً على الصلوات بلا اشتغال بال، وليس له فكر ولا هم يقطعان صلاته، ودموعه ومحبة الله الحارة الكاملة.

📖 لأنك تعلم أيها الحبيب، إن الإنسان إن صلي بشوق ودموع، بقلب نقي، يعاين الإله نفسه بذهنه، فلذلك كل أحد يحصل بالمسكنة، وبالفقر، وبالضيقة الكثيرة لنفسه، الخيرات الموعود بِها للصديقين، لأن الباب ضيق، والطريق حرج المؤدي إلى الحياة.

📖 لذلك أريتك هذه الطريقة التي لم أسر فيها أنا، حتى إذا صغيت إلى ذاتك تماثل سيرة القديسين: فتضاهي ورع أحدهم ـ وصناعة أخر ـ وتماثل صلوات أخر ـ وتتشبه بسجية أخر ـ وتشابه تواضع أخر ـ وتضاهي كرامة أخر ـ وتستفيد من أخر لومه لنفسه ـ ومن أخر احتقاره ذاته وتَهاونه بِها ـ ومن أخر صرامة سيرته ـ ومن أخر اهتمامه ـ ومن أخر سكوته ـ ومن أخر وداعته ـ ومن أخر طول أناته ـ ومن أخر احتماله ـ ومن أخر مسالمته للكل ـ ومن أخر الصداقة ـ ومن أخر ألفته ـ ومن أخر اتفاقه ـ ومن أخر فهمه، ومن أخر عقله ـ ومن أخر تيقظه ـ ومن أخر حكمته ـ ومن أخر حسن منطقه ـ ومن أخر إصابة الرأي.

📖 من أخر إفرازه، ومن أخر توسطه، ومن أخر بشاشته، ومن أخر فرحه، ومن أخر حسن تسليمه، ومن أخر سرعة انعطافه، ومن أخر مسامحته، ومن أخر شجاعته، ومن أخر ثقته.

📖 ومن أخر جهاده، ومن أخر طاعته، ومن أخر عملاً، ومن أخر مديحاً، ومن أخر نشاطاً، ومن أخر خدمته للأخوة، ومن أخر غيرة، ومن أخر حرارة، ومن أخر خضوعاً، ومن أخر التبرؤ جملة من العالم واحتقاره العالم وأمانته كل يوم، ومن أخر صبراً، ومن أخر

الثبات، ومن أخر الصدقة، ومن أخر مجاهرته، ومن أخر توبيخه.

🕮 ومن أخر سيرته الواضحة للكل والمنيرة، ومن أخر تحفظه، ومن أخر شكراً، ومن أخر أدباً، ومن أخر عفة، ومن أخر قداسة، ومن أخر طهارة، ومن أخر بتولية، ومن أخر نقاوة، ومن أخر عزماً روحانياً، وتراصد أحدهم صدقته، وآخر انتظاره، وآخر خيريته، وآخر صلاحه، وآخر حسن مجازاته، وآخر مساواته.

🕮 وآخر عدل حكمه، وآخر عفوه، وآخر دعته، وآخر رثاءَه، وآخر إحسانه، وآخر محبته للغرباء، وآخر احتياجه، وآخر عدمه الشر، وآخر وداعته، وآخر قناعته، ومن أخر تحفظه، ومن أخر شكره، ومن أخر بساطته، ومن أخر تعزيته، ومن أخر تسليته، ومن أخر تعهده المرضى، ومن أخر استقامة ذهنه، ومن أخر حياة.

🕮 وتستفيد من جماعتهم الصلاة التي لا تنقص، والترنم، وذرف مجاري الدموع سواقي. وجملة تغني عن التفصيل من السيرة الإلهية، فما دمت ساكناً وسط هذا الكنز فأحرص إن تستغني.

🕮 وما دمت عائشاً مع العذارى الأحرار العاقلات فلا تعد مع العواق.

🕮 ما دام لك هؤلاء النجوم يضيئون عينيك كل يوم وليلة، فأسلك في ضيائهم، وأقتفِ أثارهم، لتدخل معهم إلى المساكن الأبدية. أخطر في هذه الخطوات ليمكنك إن تستدرك قوماً منهم، لأنني عالم إنك إن شئت فإنك تقدر.

🕮 منطق حقويك، وقد مصباح عدلك، وأنتظر ربك، لتوجد مستعداً لاستقباله، أنا لست أكف عن مكاتبتك في هذا الأمر.

🕮 وأعلم إنك تسمع سماعاً مقسطاً، فأصغ إلى ذاتك، وجاهد إلى الوفاة، وتحرز محفوظاً لتلتقي الختن الذي لا يموت بدالة وسرور.

🕮 أكرم البتولية، فإنْها تبلغ بك إلى الحجلة السماوية فلهذا قال الرسول: "قد خطبتكم لرجل واحد، لأقيمكم عروساً طاهرة للمسيح".

📖 والآن يا حبيبي: قد كتبت إليك فضائل القديسين، وسأكتب لك مكامن المضاد، لكي إذا نجيت من فخاخ ذلك، تستطيع إن تخلص نفسك.
📖 فلا تقل لي إذا أنني قد حصلت في الدير، وقد لبست الإسكيم الملائكي، فليس الناس فقط بل الإله نفسه، لا يستبشر بالإسكيم الظاهر، بل بثمار الأعمال الصالحة.
📖 فأنتصب إذا كشجرة حسنة نضارتَها، حاملة أثمار الفضيلة.
📖 وأحذر إن تجئ دودة الكبرياء فتفسد أثمار تواضعك.
📖 لا يسرق الكذب صدقك. ولا يغش السبح الباطل تورعك.
📖 ولا يستل الغيظ وداعتك. لا يسلب الغضب طول أناتك.
📖 ولا تفسد الخصومة سلامتك. ولا تعوق المعاداة مصادقتك.
📖 ولا يقطع الحقد المحبة. ولا يبيد القرف الإكرام.
📖 ولا يوزع المحك الاتفاق. ولا يطرد الاضطراب السكوت.
📖 ولا يعق شره البطن الصوم. ولا يقطع التذاذ الأكل الحمية.
📖 ولا يعرقل الونية الحرص. ولا يقطع النوم السهر.
📖 ولا يثقل الضجر النشاط. ولا يمنع العجز الخدمة.
📖 ولا يسحب التذمر الخضوع. ولا تختلس المعصية الطاعة.
📖 ولا يغلب الكلام الباطل الترنم والترتيل.
📖 ولا يقهر المزاح دراسة التمجيد.
📖 ولا يتقوَّ ويستظهر الضحك على النوح.
📖 ولا تعطل الفظاظة المسامحة. ولا يفسد الفسق العفة.
📖 ولا يبطل عدم الأمانة.
📖 ولا تكرم محبة الفضة أكثر من هجر القنية.
📖 ولا تحب والديك أكثر من المسيح.
📖 ولا تستلذ وتستحل العالم، أكثر من ملكوت السماوات.
📖 ولا يغير الغنى عندك الفقر. ولا تحرض لسانك الوقيعة.

📖 ولا تجعلك النميمة قاتل أخاك. ولا تدنس المشارة نفسك.
📖 ولا يحرقك الحسد للقريب. ولا ينجس الغش صفا قلبك.
📖 لا تعدمك المرأة الخيرات. لا يصنعك البغي دافعاً.
📖 لا تسبب لك شهادة الزور العذاب. لا تغربك السرقة من الملك.
📖 لا يغلق الظلم دونك الفردوس. لا يبدد عظامك استرضاء الناس؟
📖 لا تقطع مجاهرتك محاباة الوجوه.
📖 لا تسحبك محبة اللذة من محبة اللـه.
📖 لا تعمِ الشهوة تخشعك. لا تشوه اللذة شوقك إلى اللـه.
📖 لا تخسرك لذة الأطعمة نعيم الفردوس.
📖 لا ترفض إنساناً لئلا تسخط خالقه.
📖 لا تعيرن أحداً لأنك لا تعلم ماذا يصيبك من العوارض.
📖 لا تترفع بقلبك لكيلا تسقط، فتجلب لذاتك هواناً.
📖 لا تقطع دعتك الجسارة. لا يستأسر الجزع شهامتك.
📖 لا يبيد تقواك التهاون. لا يفصلك التنزه من الرفقة.
📖 لا يجرح نفسك النظر والتفرج. لا تفسد نفسك من السماع.
📖 لا تعاشرن الأشرار، ولا تشاورهم، لئلا يظلم شرهم ذهنك.
📖 لا يغلب الخبث صلاحك. ولا يقهر الحسد عدمك التألم.
📖 لا تصر متهجماً، لئلا تمقت من الجماعة.
📖 لا يسبب لك التعاظم جلدات.
📖 لا تمنح جسدك قط ألبته نياحاً، لئلا يصير ثقلاً لنفسك.
📖 لا يختلس الافتراء مديحك. لا يصد عنك الأياس التوبة.
📖 لا تستنزل لك الجهالة من السماوات. لا تسرق المفاخرة كنزك.
📖 لا تشهر فخامة الكلام خفياتك. لا يظلم الحسد عندك أحداً.
📖 لا يعمِ الجهل فهمك. لا تسود السفاهة حلمك.
📖 لا تستول الغباوة على عقلك.

📖 لا يغير عدم الإفراز، أو تمييزك، شيء أخر من الأشياء المحظـورة

يسلب عقلك، أو يدخل قلبك ويسبيك من ملكوت السماوات، بل تيقظ كما كتب، وأتلِ شريعة الرب نَهاراً وليلاً.

🕮 وحيث إن العدو لا يكف مقاتلاً نَهاراً وليلاً، فأحذر إن يجد عقلك متشاغلاً عن تلاوة وصايا الله، فيزرع زوانه، ويجعل الأواخر شراً من الأوائل.

🕮 أفقد الأشياء الأرضية، لئلا تخسر الأمور السمائية، فإن إنساناً يضع يده على سيف الفدان، ويلتفت إلى ورائه لا يستحق ملك الله، ولا ينتظم أحد في الجندية فيشتبك بأمور العالم.

🕮 فإذ قد خرجت من العالم وأتبعت المسيح، فأسعَ هكذا مبادراً لتدرك.

🕮 لا تجنح يميناً ولا يساراً، أي لا تجنح إلى الآلام السابق ذكرها، لكي إذا سقطت إلى هوة الخطيئة تموت بالنفس.

🕮 بل بادر في طريق وصايا الله الملوكي، مقوماً سعيك إلى الملك السمائي، وصلِ عني أنا الخاطئ، لكيما إذا صرت أنا الغير مستحق مشاركاً للقديسين، أؤهل معهم للتمتع بالخيرات الأبدية بيسوع المسيح ربنا. هذه الأقوال كتبتها إليك يا حبيبي، لا لأنني حفظت شيئاً منها، بل لكي إذا ما حفظتها أنت ترضي الله، لأن الرب قال: "من يؤمن بي فالأعمال التي أعملها أنا يعملها وأكثر منها".

🕮 وأنا واثق أيها الحبيب أنك ستصنع أعظم من الأفعال التي صارت قبلك إن كنت تحفظ كما قد تسلمت، لا تصر إذا قاضي الأعمال الأجنبية بل في كل ساعة أجتهد إن تقوم سيرتك وتُهذبَها فإن كل واحد منا سيعطي عن أعماله لله جواباً.

🕮 ميز أنت كل ساعة أفكارك، وقل في ذاتك أهل ترى لي ورع؟ لي عفة؟ لي تخشع وتواضع؟ وباقي الفضائل التي تقدمنا فكتبناها فوق هذا. ثم ميز أيضاً وقل في ذاتك، أتراني أهملت سيرتي متوانياً؟



أتراني أتكلم باطلاً؟ أتراني أغتاظ؟

أتراني أشتهي شيئاً من الأمور الأرضية؟

فهكذا ميز كل واحدة من المقدم ذكرها، ماقتاً الأمر الخبيث، ملتصقاً بالصالح، فإن ليس صالحاً إلا اللـه وحده، المخلص الكل بنعمة يسوع المسيح ربنا. يا ولدي أوصيك بيسوع المسيح، إن تحفظ هـذه الرسـالة وتقرأها متواتراً، وتضعها أيضاً وتأخذها إلى إن تتعلمها.

لا تتركها لأنني بكل تدقيق كتبت إليك عن سائر الآلام.

لتتلوها تـلاوة متتابعـة، وتحفظهـا حفظـاً بليغـاً، لأنـه بمـاذا يحفظ الشاب طريقه ويقومها، إلا بأن يحفظ أقوال الرب، ومع هذا قد كتبت إليك هذه الأقوال، لتستطيع إن تحفظ منها بسهولة.

فإذا قومت هذه، فسأوقف أيضاً عقلك في تحرز أكثر، وتعمق أوفر، لتؤهل إن تصل إلى الحد الكامل بيسوع المسيح ربنـا، الـذي لـه مع الأب، والروح القدس، الكرامة، والتمجيد إلى جميع الدهور. آمين.

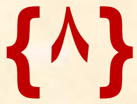
كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ١٩٤ ـ ١٩٩

{١٠} أخ قوتل إن يخرج من ديره بعد إن أخذ الإسكيم، فجابت لـه الأفكار مثل هذا المقياس، تأمل زعموا بقل البستان وأنظر أنـه إن لـم يقلعه البستاني من المسكبة شتلاً وينصبه فـي موضـع أخـر مـا يشـب نامياً إلى فوق.

فميز الأخ الفكر وقـال: هـل يقتلـع البسـتاني البقول بجملتهـا، أو مـا يترك زعم فيها ما تستطيع إن تربيه، ومع هـذا إن الشـتل الـذي يقتلـع ما ينصان من الفسـاد مثـل صـيانة البـاقي فـي المسـكبة، فصـير أنـت واحد من الذين لم يقتلعوا، وبهذا غلب الفكر بمؤازرة النعمة.

كتاب مقالات مار إفرام السرياني ـ المقالة التاسعة والعشرون ـ صفحة ٢٣٤





قداسة البابا شنودة الثالث

كتاب التلمذة
قداسة البابا شنودة الثالث

{١} حياة التلمذة	{٢} شروط التلمذة	{٣} كلمة المنفعة
{٤} التلمذة على الحياة	{٥} دروس من الموت	{٦} التلمذة على الكتب
{٧} التلمذة على الطبيعة	{٨} تلمذة على عالم الحيوان	{٩} التعليم من الطقوس
{١٠} التلمذة على الحادثات	{١١} التلمذة على أب الاعتراف	

📖 {١} حياة التلمذة:

📖 الحياة المسيحية هي حياة تلمذة. وكل الذين آمنوا بالمسيح، دعوا تلاميذ له، أما هو فدعي: "المعلم" و "المعلم الصالح".

📖 وعلى الرغم من تلمذة الجميع عليه، كان له تلاميذ خصوصيون، دعوا: "خاصته" {يو ١٣: ١}. هؤلاء أعدهم لخدمة الكلمة: {أ ع ٦: ٤}. عن هؤلاء قيل انه: "دعا تلاميذه الإثنى عشر، أعطاهم سلطانا على أرواح نجسة ليخرجون" {مت ١٠: ١}.

📖 قيل في العظة على الجبل: "تقدم إليه تلاميذه، ففتح فاه وخاطبهم" {مت ٥: ١، ٢}. ولما أراد أن يحتفل بالفصح، أرسل اثنين من تلاميذه، ليقولا إن المعلم: "يسال أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذي" {مر١٤،١٤:١٣}.

📖 كذلك اتباع يوحنا المعمدان دعوا تلاميذاً له:

📖 قيل انه حدثت مرة: "مباحثة بين تلاميذ يوحنا واليهود، من جهة التطهير" {يو٣:٢٥} وفى احدى المرات جاء الى السيد المسيح تلاميذ يوحنا قائلين: "لماذا نصوم نحن، والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون" {مت٩:١٤}.



والفريسيون كانوا يدعون أنفسهم تلاميذ موسى:

لذلك في مناقشة اليهود مع المولود أعمى، الذي وهبه الرب البصر، قالوا له: "آنت تلميذ ذاك، أما نحن فتلاميذ موسى" {يو٩:٢٨}.

ونلاحظ أن الكرازة كانت تسمى تلمذة: فلما أرسل الرب تلاميذه ليكرزوا بالإنجيل، قال لهم: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدهم ... وعلموهم جميع ما أوصيتكم به" {مت٢٨:١٩}. ولما ذهب بولس وبرنابا إلى دربة، قيل إنهما: "بشرا في تلك المدينة وتلمذا كثيرين" {أع١٤:٢١}.

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٧ـ ٨



{٢} شروط التلمذة:

في موضوع التلمذة نحب أن نورد ملاحظتين:

١- إن التلمذة ليست على التعاليم فقط، بل على الحياة.

٢- لذلك فللتلمذة شروط لابد من توافرها في الحياة العملية.

وهكذا يقول السيد الرب لتلاميذه: "إن ثبتم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي" {يو٨:٣١}. إذن فمجرد سماع الكلام من معلم، لا يعنى التلمذة له. إنما الثبات في تعليمه. ومعنى هذا تحويل الكلام الى حياة، والى مبادئ راسخة تثبت فيمن يتعلم.

ويعطينا السيد المسيح علامة، ومثالا عمليا بقوله لتلاميذه:

"بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، أن كان لكم حب بعضكم لبعض" {يو١٣:٣٥}. هنا يقدم شرطاً بدونه لا يكونون تلاميذاً له، مهما تعلموا منه نظرياً عن الحب. وان لم يجد الناس فيهم هذه المحبة المتبادلة، لا يمكنكم أن يقولوا إن هؤلاء تلاميذ المسيح! أنها علامة لازمة. كما كان المسيح يحب الكل، هكذا ينبغي أن يكون تلاميذه. "كما سلك ذاك"، يسلكون هم أيضاً {١يو٢:٦}.

📖 يذكرني هذا بقول الرب لليهود المفتخرين بأنهم أولاد إبراهيم: "لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم" {يو ٨:٣٩}. آذن التلمذة الحقيقية هي تلمذه على حياة، تظهر بأسلوب عملي في حياة الإنسان، يعلن بها تلمذته على معلم تميز بهذا النوع من الحياة، وبهذا اللون من التعليم.

📖 ولهذا يقدم السيد المسيح عينات من الناس، لا يمكن أن تكون تلاميذ له، منها يقول: "ان كان أحد يأتي الى، ولا يبغض أباه، وأمه، وامرأته، وأولاده، وأخوته، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا"، "ومن لا يحمل صليبه، ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا"، "فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله، لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" {لو٣٣،٢٧،١٤:٢٦}.

📖 وهكذا وضع السيد المسيح قاعدة للتلميذ عليه، وهي التجرد، ومحبة الله فوق محبة الأقرباء. ومن هذا المنطق قال له تلميذه بطرس: "قد تركنا كل شيء وتبعناك" {مت١٩:٢٧}. فأجابه السيد بنفس تعليمه الروحي: "كل من ترك بيوتاً، أو أخوة، أو أخوات، أو أباً، أو آم، أو امرأة، أو أولاداً، أو حقولاً، من أجل اسمي، يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية" {مت ١٩: ٢٩}

📖 أذن هو مبدأ التلمذة عل الرب، ان تترك كل شيء من أجله، أو على الأقل تكون مستعدا قلبياً لترك كل شيء، ولا تندم على ذلك.

📖 ولهذا أضاف الرب شرطاً أخر وهو: "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله" {لو٩:٦٢}.

📖 فالتلمذة على الرب تحتاج الى ثبات في الطريق، وعدم رجوع الى الوراء. وتحتاج الى ان يحتمل الإنسان من اجل الرب، ومن اجل خدمته، ويتعب في سبيل ذلك. ولذلك قال الرب: "من لا يحمل صليبه، ويأتي ورائي، فلا يقدر أن يكون لي تلميذا" {لو١٤:٢٧}.

🕮 هناك شروط أخرى للتلمذة منها الالتزام والتنفيذ.

🕮 فالذي يريد أن يتتلمذ عليه أن يلتزم بما يسمعه وينفذه، وهكذا يحول المعلومات الى حياة. لأنه ما فائدة الكلام، إن كنا نسمعه وننساه، أو نحتفظ به في أذهاننا فقط لمجرد المعرفة.

🕮 ولذلك جميلة تلك العبار التي كان يقولها من يزور الآباء: "قل لي كلمة، لكي أحيا بها". فالكلمة هي طعامه الروحي. يأخذها ويغذى بها روحه، فيحيا بها، وينتفع. ليس مجرد المنفعة الفكرية، إنما ينتفع بها في حياته العملية، فتصبح كلمة منفعة.

التلمذة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٩- ١٢



🕮 {٣} كلمة المنفعة:

🕮 الإنسان الروحي يتتلمذ على كلمة المنفعة، يبحث عنها من كل مصادرها: من الكتاب المقدس أولا، ومن أقوال الآباء، ومن المعلمين الموثوق بهم، ومن أي مصدر، حتى لو كانت كلمة من فم خاطئ ولكنها نافعة.



🕮 من ذلك قصة مار إفرام السرياني، والمرأة الناظرة إليه:

🕮 هذه المرأة نظرت الى القديس مار إفرام، وأطالت التطلع إليه وتركيز نظرها عليه حتى خجل، وسألها لماذا تثبت نظرها عليه هكذا؟ فأجابته: "هذا شيء طبيعي أن انظر الى رجل، لان المرأة عندما خلقت أخذت من جسم رجل. أما أنت مكان ينبغي أن تنظر الى الأرض، لأنك أخذت من تراب الأرض". فانتفع القديس من كلمة المرأة، وتدرب أن ينظر الى الأرض.

🕮 وهناك مثال أخر بنفس الطريقة وهو: وانتفاع القديس أنطونيوس من كلمة المرأة التي خلعت ملابسها، ونزلت أمامه لتستحم! قال لها: "يا امرأة، أما تستحين أن تخلعي ملابسك أمامي،

وانا رجل راهب؟!"

📖 فأجابته المرأة: "لو كنت راهبا لسكنت في البرية الجوانية، لان هذا المكان لا يصلح لسكنى الرهبان". فانتفع القديس أنطونيوس بكلمتها جدا وقال لنفسه: "هذا صوت الله اليّ، أرسله على فم هذه المرأة". وقام ودخل الى البرية.

📖 كان الناس في القديم يعبرون البر والبحر في سفر طويل، لكي يسألوا أحد الآباء عن كلمة منفعة. وبستان الرهبان حافل بقصص من هذا النوع. رحلات بلاديوس، وجيروم، وروفينوس، كلها من هذا النوع. وقد خلفت لنا كتبهم تراثا ثمينا نفع العالم روحيا.

📖 ولم يقتصر الأمر على الصغار، أو العوام، بل حتى الكبار أيضاً في مراكزهم كانوا يلتمسون كلمة المنفعة. مثل القديس البابا ثاؤفيلس {البطريرك٢٣} الذي كم من مرة كان يأتي الى الأديرة ليأخذ كلمة منفعة من الرهبان القديسين. وقصصه معروفة في زيارة الأنبا أرسانيوس، وفى زيارة الأنبا بفنوتيوس.

📖 كذلك زيارة القديس البابا بنيامين {البطريرك ٣٨} للأديرة، وأماكن المتوحدين. والمعروف ان القديس اثناسيوس الرسولي كان يتتلمذ على القديس أنطونيوس الكبير.

📖 نسمع عن القديس مكاريوس الكبير انه طلب كلمة منفعة من الصبي زكريا!! فتعجب الصبي وقال له: "أنت يا أبي كوكب البرية ومنارها، تطلب منى كلمة أنا الصغيرة أن؟!"

📖 فإجابة القديس مكاريوس في اتضاع: "أنا واثق يا أبني بالروح القدس الذي فيك، إن عندك شيئا ينقصني أن اعرفه".

📖 ونسمع عن القديس مكاريوس أيضاً انه اخذ كلمة منفعة من صبي كان يرعى بقرا.

📖 إن التلمذة لا يعوقها السن، أو المركز، وطوباه من يحيا تلميذا طول

حياته. مشكلتنا أننا نظن أننا نعرف، أو أننا وصلنا الى الحد الذي لا نحتاج فيه أن نسأل، أو أن نتعلم.

🕮 بينما نجد جماعة مثل رسل السيد المسيح يسألونه مرة قائلين: "علمنا يارب أن نصلى" {لو١١:١}. من من الناس لم يكن يعرف كيف يصلى؟! الكل يعرفون، أو يظنون انهم يعرفون، ولكن الرسل سالوا عن امر يبدو واضحا! وكانت النتيجة إن الرب علمهم الصلاة الربية، وكانت منفعة.

🕮 من هنا كان من صفات التلمذة: الاتضاع.

🕮 يبدأ بشعور الإنسان انه محتاج ان يتعلم، وان يسال، وان يسترشد.

🕮 وشعوره أن غيره يفهم أكثر، وان الله قادر أن يعطى غيره ما يرشده به. انظروا في اتضاع التلمذة ما قاله القديس بولس الرسول عن نفسه انه تربى وتأدب: "عند رجلي غمالائيل" {اع٢٢:٣}، إذ ما كان التلمذة يستطيع أن يجلس مع معلمه في مستوى واحد، وإنما يجلس عند قدميه.

🕮 ومن شروط التلمذة أيضاً إن ما تسمعه، ينبغي أن تحفظه جيدا في داخلك، حتى لا تنساه. كما قال داود النبي: "خبأت كلامك في قلبي، لكيلا أخطئ إليك" {مز١١٩}.

🕮 آن نسيان الوصية يوقعك في الخطية، وينسيك ما تريد أن تتلمذ عليه من مبادى وقيم. لذلك قال الرب: "ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك. وقصها على أولادك. وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشى في الطريق، وحين تنام وحين تقوم. وأربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك. واكتبها على قوائم أبواب بيتك وعلى أبوابك" {تث٦:٦-٩} كل ذلك لكيلا تنساها.

🕮 وهكذا أيضاً تفعل حتى لا تنسى تداريبك الروحية.

📖 فانت تتلمذ، بان تنال معرفة، ثم تنتقل الى مرحلة التطبيق بالتداريب. وتداريبك تضعها أمام عينيك باستمرار، فتكون في ذاكرتك، لكي تحذرك كلمات حوربت بكسرها.

التلمذة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٣- ١٧



📖 {٤} التلمذة على الحياة:

📖 أنت لا تتلمذ على كلام المعلمين فقط، وإنما على حياتهم، حتى دون أن يتكلموا. تمتص الحياة منهم، بما فيهم من أمثولة طيبة، وقدوة صالحة. فليست الأذون وحدها وسيلة التعليم، وإنما العين أيضاً.

📖 يروى عن القديس الأنبا شيشوى، انه من فرط تواضعه ما كان يعطى تعليما لمن يتتلمذ إليه. فلما عاتبه الآباء لأنه لم يعط أية إرشادات لأخ جديد سلموه إليه ليعلمه ... قال لهم: "أنا لست رئيسا، ولا معلما. فان أراد هو أن يتعلم شيئا، فلينظر كيف أتصرف، وكيف أعمل، ويعمل هكذا مثلى، دون أن آمره".

📖 ومن أمثلة التعليم من السيرة، إن ثلاثة إخوة زاروا القديس الأنبا أنطونيوس، فاثنان منهما سألاه. أما الثالث فجلس صامتاً، فلما استفسر منه القديس لماذا لم يسأل عن شيء، أجابه الأخ: "يكفيني مجرد النظر الى وجهك يا أبي".

📖 كان مجرد النظر الى وجه القديس درساً يتعلم منه الأخ وهو صامت. يرى القديس كيف يتكلم، وكيف يحبيب، ويبصر ملامحه الوديعة، الهادئة، المتضعة، ويتعلم.

📖 مثال أخر: في إحدى المرات زار البابا ثاوفيلس برية شهيت.

📖 فقال الآباء للقديس الأنبا بفنوتيوس: "قل كلمة لينتفع البابا". فأجابهم: "إن لم ينتفع من سكوتي، فمن كلامي أيضاً سوف لا ينتفع".

📖 حقا أن الصمت يمكن التتلمذ عليه، تماما ككلام المنفعة: ولعل من

أروع الأمثلة على ذلك القديس أرسانيوس الكبير، الذي كان كثيرون يتتلمذون على صمته، ويستفيدون من قدرته الصالحة أكثر من كلام معلمين آخرين. وهكذا يتتلمذ الآن على حياة الآخرين، على الصفات الجميلة التي فيهم. ويمتص فضائلهم، دون أن يلقوا عليه دروساً في تلك الفضائل.

📖 وقد فعل القديس الأنبا أنطونيوس هكذا في أول عهده بحياة الرهبنة: فكان يتعلم من حياة النساك الذين يراهم: كان كالنحلة التي تمتص من كل زهرة رحيقاً. يتعلم من أحد النساك الهدوء، ومن أخر التواضع، ومن ثالث الصمت، ومن رابع حسن الكلام.

📖 وما فعله القديس أنطونيوس يذكرنا بتعليم أخر نافع وهو: لا يحاول أن تكون في تلميذتك صورة كربونية من شخص واحد بالذات، فلا يوجد شخص واحد من بنى البشر فيه كل الفضائل.

📖 كما إن ما يناسب شخصيا معينا قد لا يناسبك أنت. إنما خذ من كل شخص ما يعجبك فيه من صفات جميلة. وخذ من هذه الصفات بالقدر الذي يصلح لك، وبالأسلوب الذي يوافق طبعك، وعقليتك، وظروفك.

📖 وهكذا تكون التلمذة على الحياة، ومنها التلمذة على سير القديسين.

📖 وفى هذا يقول القديس بولس الرسول: "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم، فتمثلوا بأيمانهم" {عب١٣:٧}. ولقد قدم لنا الكتاب المقدس أمثلة عملية من كل نوع، كما قدم لنا التاريخ أمثلة أخرى في كل فروع الفضيلة، وفى كل ألوان الحياة، يمكن أن نتتلمذ عليها.

📖 ان السيد المسيح بكت اليهود بمثال ملكة التيمن. فقال لهم: "ملكة التيمن ستقوم في {يوم} الدين مع هذا الجيل وتدينه، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان. وهوذا أعظم من سليمان ههنا" {مت١٢:٤٢}. أنها كانت مثالاً عجيباً في طلب الحكمة، والمعرفة، أي

في التلمذة. وقد تتلمذت على إنسان أخذ الحكمة من الله نفسه، وكان أحكم أهل جيله {١مل١٢: ٣}. وأصبحت هذه الملكة مثالا لنا نقتدي به.

📖 وقد قدم السيد لجيله ولنا أمثلة نتتلمذ عليها:

📖 قدم لنا المرأة الكنعانية في أتضعها، إذ قالت عن نفسها وابنتها: "والكلاب أيضاً تآكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها".

📖 وقدم لنا الرب أيضاً مثال قائد المائة في أيمانه، إذ قال: "يا سيد لست مستحقا ان تدخل تحت سقفي، لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامي". فقال الرب للذين يتبعونه: "الحق أقول لكم: لم أجد ولا في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا".

📖 وهكذا قدم الرب للناس أمثلة حية ممن يعيشون حولهم، ويصلحون قدوة للتلمذ على مثالها. وقدم لهم أيضاً مثال الأرملة التي أعطت من أعوازها {مر٩:١٢}، ومثال الأرملة التي سكبت قارورة الطيب الغالي الثمن على رأسه في بيت سمعان الأبرص. وقال: "الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها" {مر ١٤: ٩}.

📖 إذن ليست الأمثلة التي تتلمذ عليها، هي فقط للقديسين الذين رقدوا، إنما أيضاً الأمثلة الحية من حولك، ولعلك تجد فيمن تعاشرهم، وتختلط بهم، وفيمن يعيشون في جيلك - حتى لو لم تختلط بهم -ربما تجد في هؤلاء وأولئك أمثله طيبة يمكن أن تلتقطها، و تمتصها، وتحتذيها.

📖 ونحن نري في الأطفال مثالاً لمن يتعلم بالمحاكاة:

📖 إنهم لم يصلوا بعد إلى درجة الفهم، والنضوج الفكري، الذي يساعدهم على تلقي العلم، أو فهم النصائح. ولكنهم كما يعيش الذين حولهم يأخذون الحياة والدين وكل شيء عن طريق التسليم، وليس

عن طريق التعليم.

وكما تتعلم من فضائل الناس، يمكنك التعليم من أخطائهم:

فأنت إذ تري الخطأ، ونتائجه السيئة، وردود فعله عند الآخرين، تستطيع أن تأخذ درساً في تحاشي هذا الخطأ في حياتك. أو كما قال الأسد {للثعلب}: "من علمك الحكمة أيها الثعلب؟" فأجابه: "تعلمتها من رأس الذئب الطائر عن جثته".

وما أجمل المثل الذي يقول: "تعلمت الصمت من الببغاء". أي أنني لما رأيت مساوئ كثرة الكلام، أخذت درساً في سمو الصمت، وفائدته، واحترام الناس للصامتين.

التلمذة - البابا شنودة الثالث - صفحة ١٧- ٢٣

{٥} دروس من الموت:

أنت تتعلم من الحياة، وأيضا من الموت. إنه أستاذ كبير لك، ولكثيرين. كثير من الآباء أخذوا من الموت درسا في التجرد، ودرسا في فناء العالم، وبطلان كل شهواته. والبعض منهم قاده عمق هذا الشعور إلى الرهبنة، وترك العالم كله.

ومن أمثلة هؤلاء القديس العظيم الأنبا أنطونيوس: أبصر أباه على فراش الموت بلا حراك، فخاطبه قائلا: "أين هي قوتك، وعظمتك، وغناك؟ لقد خرجت من العالم بغير إرادتك. أما أنا فسأخرج منه بإرادتي، قبل أن يخرجوني كارهاً". وهكذا عزم على الرهبنة. وبهذا الشعور القلبي تأثر من الآية التي سمعها في الكنيسة {مت ٢١:١٩}.

والقديس الأنبا بولا أول السواح تأثر بالموت أيضاً.

وكان في طريقه إلى القضاء ليختصم قريبا له بسبب ميراث. وفي الطريق رأي موكب جنازة، فتأثر وترك المال، والخصومة، وذهب إلى البرية سعياً وراء خلاص نفسه.



📖 وهناك قصه نصيحة سمعها أخ من القديس مكاريوس الكبير:
📖 قال للشاب اذهب وامدح الموتى. فذهب وقال لهم: "يا أبرار يا صديقون يا قديسون" ورجع فسأله القديس: "هل أجابوك بشيء؟ وهل فرحوا بمديحك؟" فقال له: "كلا".
📖 قال له القديس: "اذهب إذن وانتقدهم" فذهب وفعل كذلك.
📖 فسأله القديس: "هل أجابوك بشيء؟ وهل حزنوا بمذمتك لهم؟" فأجاب: "كلا". فقال له القديس: "هكذا أنت، إن أردت أن تكون راهباً، فكن كهؤلاء الموتى. لا تفرح بمديح، ولا تحزن بسبب مذمة".

📖 والقديس مكاريوس نام مرة، وقد وضع جمجمة تحت رأسه.
📖 وبعض القديسون كانوا ينتفعون روحياً من منظر الجماجم، ومن رؤية الموتى، ومن زيارة المقابر. بل إن مجرد ذكر الموت كان ينفعهم. والتأمل فيه كان درساً روحياً لهم.
📖 وقيل عن الإسكندر الأكبر، أعظم قائد وإمبراطور في جيله، إنه كان قد كلف خادماً له أن يقول له كل يوم: "تذكر أنك إنسان، ولابد ستموت في يوم ما". فليتك أيضاً تنتفع من كل وفاة تسمع بها، ومن كل جناز تحضره، وتتتلمذ على أولئك الذين أثر الموت فيهم، وأخذوا منه دروساً نافعا.

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٣ـ ٢٥

📖 {٦} التلمذة على الكتب:

📖 الأصل هو التلمذة على الآباء، والمعلمين:
📖 وكما قال الشاعر: "فخذوا العلم على أربابه، واطلبوا الحكمة عند الحكماء". ولكن ماذا يحدث إن لم تجد المعلم، ولا الأب، ولا المرشد.
📖 هناك إذن الكتب فيها كل شيء. وقد تنفعك مع وجود مرشد أيضاً.

📖 أوريجانوس أعظم عالم في عصره: تتلمذ على الكتب:

🕮 قيل عنه إنه كان يستأجر المكتبات ويبيت فيها. ويظل يقرأ طول الليل، ويلتهم ما يوجد في المحفوظات من كنوز المعرفة، وقال عنه القديس جيروم: "إنه كان يقرأ وهو يأكل، ويقرأ وهو يمشى، حتى امتلأ عقله من العلم". ولكن أوريجانوس أصابه ضرر من بعض قراءاته.

🕮 وفي عصرنا الحاضر نذكر اسم حبيب جرجس.

🕮 لم يجد معلماً في الإكليريكية يتلقى عليه العلم، وبخاصة بعد مرض ونياحة القمص فيلوثاوس إبراهيم، فلجأ إلى الكتب يلتهم معلوماتها التهاماً. واستطاع أن يكون معلم اللاهوت الأول في جيله. وأن يكتب في العقيدة، وفي الروحيات، وفي سير القديسين، وفي مناهج التربية الكنسية، والتعليم الديني. وكان مصدر علمه هو الكتب.

🕮 ولكن على الإنسان أن يحسن انتقاء الكتب التي يقرأها، ويتتلمذ عليها، وأن يقرأ بإفراز وحرص، ولا يعتنق كل ما يقرأ.

🕮 فهناك كتب - حتى لمشاهير الكتاب - قد تحمل معلومات غير سليمة. وليست كل الكتب معصومة. فعلي القارئ أن يضع أمامه قول القديس بولس الرسول: "افحصوا كل شيء، وتمسكوا بالحسن" {١تس٥: ٢١}. وكذلك قول القديس يوحنا: "لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله" {١ يو ٤:١}.

🕮 وأيضاً على الإنسان أن يميز بين القراءة، والتطبيق.

🕮 فهناك مبادئ روحية تحتاج إلى إرشاد في تطبيقها، وقد تحتج بعض الفضائل إلى تدرج كبير في تنفيذها. وقد يقرأ إنسان في بستان الرهبان عن فضيلة أتقنها أحد القديسين، ربما بعد جهاد سنوات حتى وصل إليها، فهل يأخذها القارئ كنقطة ابتداء، مقلداً القديس فيما وصل إليه أخيراً، دون أن يحاكيه في تدرجه وجهاده.

📖 نقول هذا عن بعض درجات الصلاة، والصمت، والصوم، والوحدة، وما شابه ذلك من أمور يحتاج تنفذها إلى إرشاد روحي.
ونشكر الله أن المكتبة القبطية تذخر حالياً بالعديد من الكتب الثمينة: سواء من أقوال الآباء المترجمة، أو من سير القديسين، أو الكتب الروحية، والعقدية، والتاريخية، والطقسية، وشتى ألوان المعرفة.

📖 وعلى الإنسان أن ينتقي ما يشبع قلبه، وفكره.
📖 وأن يصنع لنفسه برنامجاً يومياً في القراءة، أو على الأقل برنامجاً أسبوعياً، بحيث إن قصر في يوم تسنده قراءة يوم أخر.
📖 والخادم بالذات يحتاج إلى مزيد من القراءة، ليكن مشبعاً لتلاميذه. وذلك حتى لا تقدم لهم معلومات مكررة، أو معلومات سطحية سبق لهم معرفتها.
📖 ولا شك أن الخادم العميق في معرفته يشعر تلاميذه بدسم معلومات فيقبلون عليه، وعلى دروسه. وهو لا يستطيع أن يتلمذهم، إلا إن كان هو قد تتلمذ أولاً، وتعمق في معرفته. وكما يقول المثل: "امتلئوا. لأنه لا يفيض إلا الذي امتلأ".

📖 والتلمذة على الكتب لها اتجاهان: المعرفة، والحياة. ولكي تحول بعض معارفك إلى حياة، عليك بالتداريب الروحية" اقرأ، وافهم جيدا. واستخرج المعاني الروحية النافعة، والمناسبة لك. وسجلها في مفكرة خاصة، لكي تتذكرها بين الحين والحين، ودرب نفسك عليها، وحاسب نفسك على التدريب، وراقب نفسك في التطبيق، ووبخ نفسك إن قصرت. وهكذا تحول المعلومات الروحية إلى حياة.

📖 وفي حديثنا عن الكتب وأوريجانوس، نذكر اثنين تتلمذا عليه:
📖 إنهما القديسان باسيليوس الكبير، وغريغوريوس الناطق بالإلهيات. مع إنهما لم يعاصراه، إذ عاشا في القرن التالي له. ولكنهما تتلمذا

على كتبه. تماماً كما قال اليهود للمولود أعمي: "نحن تلاميذ موسى" {يو ٩:٢٨}. مع أنهم لم يعاصروا موسى النبي، لكنهم تتلمذوا على الأسفار الخمسة التي كتبها، والتي أطلق عليه اسم "ناموس موسى".

لا شك أنكم رأيتم كثيرين من الناس الطيبين. فهل استفدتم منهم؟ صدقوني أن الله سيديننا في اليوم الأخير، إن لم نستفيد ممن أرسلهم إلينا، كعناصر ممتازة يمكن أن نقتدي بها، مثلما قال عن معاصري حياته في الجسد على الأرض: "إن ملكة التيمن ستقوم في يوم الدين مع هذا الجيل وتدينه" {مت١٢: ٤٢}.

ربما تسمع، أو تقرأ عن الوداعة، ولا تفهم معناها بالضبط. ثم يرسل الله لك إنساناً وديعاً، تراه فتتلمذ على وداعته، وتفهم منه ما هي الوداعة، أكثر مما تشرحه الكتب.

وهكذا في كل فضيلة يرسل لنا الرب عينات حية: في التواضع، في البساطة، في الغيرة المقدسة، في الإيمان، في كافة الأمور الروحية التي قد تعجز الكتب عن شرحها بدقه، والتي قد يكون معناها أكثر من احتمال تعبير الألفاظ. وإن سأل الله: "لماذا لم تتلمذوا على هذه النماذج العملية؟!"، "حينئذ يستند كل فم" {رو٣: ١٩}..

أتظن إن التلمذة هي فقط على الكتب، والعظات، والإرشاد الروحي. كلا. فهناك تلمذة على أشخاص لا يتحدثون عن الفضائل، إنما تتحدث فضائلهم عنهم.

لذلك خذ درساً من كل فضيلة تراها في أي إنسان، أياً كان، مسيحياً كان أو غير مسيحي، خادماً كان أو علمانياً.

ننتقل إلى فرع أخر من التلمذة، وهو التلمذة على الطبيعة.

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٢٥ـ ٣١



{٧} التلمذة على الطبيعة:

📖 لعلي حينما أتكلم عن الطبيعة، أذكر قول المزمور: "السماوات تحدث بمجد الله، والفلك يخبر بعمل يديه". نعم إن الطبيعة تتحدث.
📖 ولذلك يتابع المرتل تأملاته في هذا المزمور قائلاً: "يوم إلى يوم يذيع كلاما. وليل إلى ليل يبدي علماً" {مز١٩: ١، ٢}.
📖 يمكن للإنسان إذن أن يستمع إلى أحاديث الطبيعة، إلى حديث السماء، وحديث الفلك. فما هي الدروس التي تتعلمها حينما نتتلمذ على الطبيعة درساً؟ أذكر من بينها:

١- تعطينا الطبيعة درساً في النظام والدقة:

📖 وفي مقدمة ذلك النظام العجيب الدقيق الذي يربط بين الشمس والقمر، والكواكب والنجوم. كيف تدور الأرض حول محورها دورة منتظمة كل ٢٤ ساعة، ينتج عنها الليل والنهار، وأيضا تدور دورة أخري حول الشمس كل عام، تنتج عنها الفصول الأربعة.
📖 وكل ذلك بنظام لم يختل مطلقاً خلال آلاف السنين، بحيث يستطيع كل إنسان أن يتوقع ماذا سوف يحدث بعد ساعات، أو أيام، أو شهور، من حيث ضغط الهواء، والرياح، والأمطار، والبرد، والبحر، وترتيب الأزمنة والأوقات، حسب نظام الطبيعة الدقيق.
📖 إنه درس لنا.

📖 ومن أمثلة النظام والدقة، أجهزة الجسد البشري.
📖 وتقصد هذه الأجهزة كما خلقها الله، وليس كما يفسدها الإنسان بإهماله، أو بتعرضه للمرض، والوبأ، والحوادث.
📖 إنها أجهزة دقيقة جداً، ومنظمة جداً، سواء في ذلك عمل القلب، ودورة الدم في الجسد الإنسان، أو عمل المخ بكل مراكزه، أو الجهاز الهضمي، أو الجهاز العصبي، أو غيرها.
📖 تأمل العين كجهاز دقيق، والأذن كجهاز للسمع، واللسان كجهاز للذوق وللكلام، ولمساعدة الجهاز الهضمي. عجب في عجب، لدرجة

أن علم الطب كانوا يدرسونه في كليات اللاهوت، لأنه يعطي فكرة عن قدرة الله في الخلق.

📖 **٢-** نأخذ من الطبيعة درساً أخر، في أنها تعمل بلا كلل، ولا ملل، ولا تطلب راحة لنفسها.

📖 تصوروا لو أن الأرض اتكأت على محورها، وطلبت أن تستريح قليلاً من التعب، هذا الدوران الذي لا ينتهي! ماذا كان سيحدث حينئذ في اضطراب النور والظلمة؟! ولكن الأرض لا تتوقف مطلقاً عن عملها، وكذلك القمر، وباقي أعضاء أسرة الفلك، من شمس، وكواكب، ونجوم. إنه عمل دائب، ونشاط عجيب، في سبيل تأدية الرسالة بكل أمانة هذه دروس لنا.

📖 **٣-** والطبيعة تعطينا درساً ثالثاً في أنها تعمل لأجل غيرها، وأنها تنفذ مشيئة غيرها، بكل طاعة، وبكل إخلاص.

📖 حقاً ماذا يستفيده الطبيعة لذاتها من كل ما تعمل؟

📖 ماذا يستفيده الماء حينما يتبخر بالحرارة، ويصعد إلى فوق، ثم يتكثف كمطر، وينزل إلى تحت. ويداوم الصعود والهبوط في كل موسم كل عام، من أجل غيره؟ الطبيعة كلها تعمل في خدمة غيرها. أما ذاتها فلا وجود لها في عملها. إنها تبذل وكفي. وهي تطيع القانون الذي وضعه لها الله، ولا تحيد عنه، ولا تناقشه.

📖 حقا ماذا كان سيحدث، لو أن الأفلاك عقدت اجتماعا، لتناقش فيه خطة عمل لها في السنة المقبلة؟! أو لو طلبت أن تدبر أمورها، أو لو احتجت على العمل المستمر بدون توقف، وبدون عطلة!!

📖 الذي بفعل هذا هو الإنسان {العاقل} الذي يتعبه عقله، والذي لا يأخذ دروساً من الطبيعة، ولا ينفذ قوله لله: "لتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض" {مت ٦: ١٠}.

📖 **٤-** والطبيعة تعطينا درساً رابعاً في التعاون، والعمل الجماعي.

📖 كلها تعمل معاً، لأداء واجب واحد. يكفي أن يأكل الإنسان وجبة من الطعام، لتجد اليد تعمل في تقديم الطعام، الأسنان تطحنه، واللسان يلوكه، ويقذفه إلى البلعوم، والمريء، والمعدة، وإفرازات من هنا وهناك، حتى يؤخذ النافع منه، ويتحول إلى دم، وإلى أنسجة، وإلى طاقة، والزائد تخرجه الأمعاء إلى خارج.

📖 وكل عضو، وكل جهاز في الجسم، يعمل مع باقي الأعضاء من أجل خير الجسد كله، في تعاون عجيب، يستلم من عضو، ليسلم لآخر، مشتركاً مع غيره. بحيث لا نستطيع أخيراً أن نقول: "من الذي عمل؟" إنه الجهاز الهضمي كله. بل باقي الأجهزة كانت تعمل معه، كالقلب، والمخ. حتى لو نسب العمل إلى جهاز وحده.

📖 نفس التعاون نجده أيضاً بين الحرارة، والرياح، والأمطار، والنبات. الكل يعمل معاً، من أجل أداء سليم لنفع المجموع. ولا يمكن أن ينفرد جزء من الطبيعة بعمل وحده. ونفس التعاون نجده في دولة النمل، وفي دولة النحل، بمشاركة عجيبة يعوزني الوقت للتحدث عنها. ألا يستطيع أن نتعلم من الطبيعة هذا الدرس؟

📖 **٥-** مع درس أخر قال عنه الكتاب: "إن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه" {١كو ١٢: ٢٦}.

📖 يكفي أن عضواً واحدا يتألم، فتجد الجهاز العصبي يتدخل، وتجد الإحساس بالألم يظهر، وربما تجد أجراس الخطر تدق لتدفع إلى علاجه: جرس من درجة الحرارة، أو جرس من نبضات القلب، أو ضغط الدم، أو من صداع، أو غيره. كلها تنادى قائلة: "هنا مرض. عالجوه". وإن دخل ميكروب في الجسم، تجد حركه دائبة من كرات الدم البيضاء، وتجد كل أجهزة المقاومة تستعد لمقاتلته.

📖 إلى جوار معونات من الأطراف، ومن المخ. ويكمل الرسول كلامه

ويقول: "وإن كان عضو واحد يكرم، فجميع الأعضاء تفرح معه" {١كو ١٢: ٢٦}. الوجه يبتسم، والقلب يطمئن، والأعصاب تهدأ، واليدان والقدمان كلها تقوم للخدمة، وللتعبير عن فرحها.

📖 إنه درس تقدمه الطبيعة في مشاعر الأسرة الواحدة.

📖 ٦- درساً سادساً تقدمه لنا الطبيعة، وهو أنها تعمل دون أن تتأثر برأي الناس فيها.

📖 المطر ينزل في موعده، ويؤدي واجبه، لا يتأثر بشكر الزارع إذ روي زرعه، ولا بتذمر إنسان أبتل به، أو كوخ سقط من شدته، أو ملابس ابتلت. إن المطر لا يبحث عن المجد الباطل، لذلك لا يتأثر بمديحه، أو مذمة. يكفيه أنه يؤدي واجبه بأمانة.

📖 كذلك الشمس، والحرارة، والبرودة أيضاً، والرياح. تؤدي واجبها، ولا يهمها في ذلك مديح من يرضي، أو احتجاج من يتضايق. إنما أداء الواجب هو كل ما يشغلها.

📖 **٧- الدرس السابع الذي نأخذه من الطبيعة هو الحكمة:**

📖 أنظر مثلاً إلى الكرمة: إنها تنفض أوراقها في الشتاء، حتى تعطيك فرصه أن تتمتع بأشعة الشمس تحت التكعيبة. ثم تعود فتكتسي بالأوراق في الصيف، لأنك تحتاج وقتذاك إلى الظل، وليس إلى الدفء. وبالمثل أن نتحدث عن أشجار البنسيانا "من أشجار الظلال" وكثير من الأشجار التي تنفض أوراقها.

📖 ومن الحكمة أيضاً أن كثيراً من النباتات، والثمار، تظهر في الوقت الحسن، المناسب للإنسان: البطيخ مثلاً يظهر في الصيف، لأنك محتاج أن ترتوي بمائه، بسبب حرارة الجو. والبرتقال يظهر في الشتاء لأنك محتاج إلى ما فيه من فيتامين {ج}، لتتقي نزلات البرد. وبنفس الوضع يمكن أخذ كثير من الثمار، موضعاً للتأمل في حكمة

مواعيد ظهورها.

📖 **٨- الدرس الثامن الذي نأخذه من الطبيعة، هو نكران الذات:**

📖 نأخذ هذا الدرس من الجذور مثلاً: فهي قابعة في الأرض لا تظهر، بينما هي تحمل الشجرة كلها، وكلما تزداد الشجرة ارتفاعا، تزداد الجذور تشعباً، واختفاء في الأرض، لكي تتمكن من نزولها إلى أسفل، إن تعطي فرصة ترتفع بها الشجرة إلى فوق. هل تسمي هذا بذلاً، أم محبة، أم أتضاعاً، أم إنكاراً للذات، أم خدمه للآخرين، أم كل هذا معاً؟ وإنه لكذالك.

📖 تري لو أصابت الجذور مشاعر من الغيرة، فحسدت الجذع، والساق، والأغصان، والأوراق على ظهورها، ومديح الناس لها، واشتهت أن تكون مثلها! فترك الجذر أرضه واختفاءه، وصعد إلى فوق مثل الأغصان الراقصة في الهواء؟! أما كانت تنهار الشجرة كلها. ولكننا نشكر الله، لأن الجذور لا تتصرف هكذا، فهي ثابته في تواضعها، ولا تغار.

📖 نفس الدرس نأخذه من أساسات الأبنية:

📖 الناس يمتدحون العمارة الشاهقة في مبناها، وأتساعها، وعلوها، وديكوراتها، وأنوارها، وأثاثاتها ... الخ. أما الأساس المختفي تحت الأرض، فلا أحد يتحدث عنه، بينما هو يحمل البناء كله. ولكنه منكر لذاته. وكلما يرتفع البناء، كلما يهبط هو إلى أسفل.

📖 إنه لا يبحث عن المديح، وإنما عن سلامة المبني الظاهر. أما هو فيكفيه إنه في العمق.

📖 **٩- والطبيعة تقدم لنا درساً تاسعاً: في تنوع الفضائل.**

📖 فكلما رأينا لا يقتصر الأمر على الفضيلة واحدة، وإنما هي باقة متنوعة الألوان. فبينما تعطيك الزهرة فكرة عن الجمال والعطاء،

تعطيك ثمرة فكرة عن أنها تعيش لتبذل ذاتها لحياة غيرها، وثمر أخر لعلاجه. وثمرة تقبل أن تكون مرة المذاق، لأنها هكذا تكون مفيدة.

📖 ١٠- وبعض أجزاء الطبيعة تعطينا الدرس العاشر في القوة والصمود: مثل ذلك الجبل، أو التل، الذي مهما هبت عليه الرياح، والأمطار، هو ثابت لا يتزعزع. ومهما حفر فيه الإنسان مغارات، أو طرقاً، أو بني عليه أبنية، هو قائم لا يهتز.

📖 ومثال ذلك أيضاً الجنادل في مجري النهر، تصدمها المياه والأمواج، وهي ثابتة لا تعبأ بالصدمات، ولا تتأثر بها.

📖 **١١- وأحياناً نأخذ من الطبيعة درساً في التأقلم مع البيئة:**

📖 كنباتات الصحراء التي لا تجد لنفسها ماء، فلا تعرض أوراقها للبخر، والنتح وإنما تنطوي بطريقة أبرية، فلا تفقد بذلك ماء. ومثال أخر في الدب القبطي ولثعلب القبطي الذي يتكون له فرو ليتقي البرد، بينما الجواد والفرس يكون جلده عكس ذلك لأنه لا يعيش في جو بارد. أنأخذ من هذا درساً أخر في عناية الله بمخلوقاته؟ لا شك نأخذ.

📖 ١٢- يذكرنا الشوك في البند السابق بأن كل الأشياء تعمل معاً للخير، وهذا درس إيماني. قال أحد الآباء كلمة حكيمة وهي: "حتى الأشواك يمكن أن تصلح سماداً للحقل"!! وليس هناك غرابه في ذلك، لأن الشوك إذا حرقته، يتحول إلى رماد، والرماد يصلح أن يكون سماداً وينفع الإنسان، إلى جوار منفعة أخري.

📖 وهذا يعطينا درساً أخر في أن ننتفع من كل شيء، حتى من الأشواك التي تبدو لأول وهلة أنها ضارة.

📖 **١٣- هناك درس في التواضع نأخذه من السحاب والماء:**

📖 يتبخر الماء فيجف، ويرتفع إلى فوق، ويصير سحاباً. ولكنه في ذلك لا ينسي أصله أنه كان تحت، في مستوي أقل من سطح الأرض. وهكذا يتضع، لأنه يعرف أن هذا الارتفاع سوف لا يدوم. وسيأتي وقت يبرد فيه ويتكثف، وتهب ريح فتسقطه إلى الأرض، وقد تمتصه جذور شجرة فيهبط إلى تحت الأرض.

📖 أتري يستطيع السحاب أن يفتخر على الماء، وهو يعرف أصله ومصيره؟! أم هل يمكن أن يصاب الماء بصغر النفس، إن تذكر زملاءه من القطرات التي تبخرت، وارتفعت إلى فوق؟!

📖 كلا فكل من الاثنين راض بحالته، سواء أصعده الله إلى السماء، أو أهبطه إلى الأرض، أو امتصته جذور شجرة، أو دخل في شرايين الأوراق، أو الأغصان. إنه درس أخر في حياة التسليم.

📖 ١٤- درس أخر نأخذه من السباخ الذي تسمد به الأرض:

📖 قد يراه إنسان فيحتقره، لنتانة رائحته، وسوء منظره، بينما يرضي السباخ بحاله، والله خلقه قادر أن يغيره.

📖 فقد يدخل في طعام شجرة تمتصه، وتنقله غذاء لبراعمها، فيتحول إلى ثمرة، يأكلها الإنسان، وتدخل في تركيب جسمه، وقد تتحول إلى نسيج فيه.

📖 أترى يتضع الإنسان حينما يدرك أن بعض أنسجته كانت سباخاً في الأرض في يوم ما؟! إنها دروس روحية لكل من يحب أن يتعلم، وأن يتأمل. يذكرنا بقول الرب: "انظروا، لا تحتقروا أحد هؤلاء أحد الصغار" {مت ١٨: ١٠}.

📖 ١٥- درس أخر نأخذه في عناية الله واهتمامه:

📖 يتضح من قول الرب: "تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم، إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غداً في

التنــور يلبســه الله هكـذا، أفلـيس بـالحري أن يلبسـكم أنـتم يـا قليلـي الإيمان؟! {مت ٦: ٢٨ ـ ٣٠}.

📖 إنه درس في إننا لا نحمل هماً بسبب احتياجنا. فـالله هـو المـتهم بنـا دون أن نطلب. حقاً إن الله وضع آدم في الجنة، وضعه في مكان كلـه فوائـد روحيـة لمـن يتأمـل. لقـد أعطـي لـه الله الحـق أن يتسـلط علـى الأرض ويخضــعها {تــك١: ٢٨، ٢٦} ولكـن كـان الأفيـد لـه أن يتأمـل ويتعلم، لا أن يتسلط!

📖 ننتقل إلى نقطة أخري في مصادر التلمذة وهي:

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٣١ ـ ٤٢

📖 {٨} التلمذة على الحيوان:

📖 هـذا المبـدأ قدمـه لنـا الـرب حينمـا قـال: "كونـوا حكمـاء كالحيـات، بسطاء كالحمام" {مت ١٠: ١٦}. فأعطـانا درسـاً أن نـتعلم البسـاطة مـن الحمام، والحكمة من الحيات. وهذا رمز، أو إيحاء أن نتعلم حتى من الطيور، ومن دبيب الأرض.

📖 صدقوني أنني أخذت دروساً كثيرة من العصفورة:

📖 كنت جالساً أمام قلايتي في حديقة الدير. وكانت على الأرض بعض الحبوب، لعلهـا سـقطت مـن أحـد عمـال المزرعـة. وأتـت عصـفورة لتلتقط الحب. وظننت أن ستأكل حتى تشـبع مـن هـذه المؤنـة. ولكنهـا التقطت حبة واحدة أو حبتين، وطارت تاركة كل هذا الخير وراءها، غير حافلة به، وغير آسفة عليه. وأخذت منها درسـاً فـي القاعـة، بـل وفي التجرد.

📖 وتذكرت قول الرب إنها: "لا تحصد ولا تجمع إلى مخازن" {مت ٦: ٢٦}. هذه العصفورة لم تقبع إلى جوار الخيـر المـادي، ولـم تتخـذ لهـا مقاماً ثابتاً إلى جواره. إنما أخذت الكفاف الذي تريده وطـارت سـعيدة

بأن تسبح في السماء، عن أن تجلس إلى جوار المادة في الأرض. وكان في هذا درس أخر نافع لي.

🕮 وكانت تغني سعيدة، وقد تركت كل شيء. وقلت في نفسي: "هذه العصفورة أكثر رهبنه مني"، لأنها تفعل كل ذلك بطبعها، وعلى سجيتها، دون أن تبذل جهداً، أو تقاوم شعوراً داخلياً. والسعادة طبيعة فيها، على الرغم من أن فخاخاً صغيرة ربما تنتظرها.

🕮 وتذكرت قول الرسول: "أفرحوا في الرب كل حين" {في٤: ٤}.

🕮 وأعطتني العصفورة أيضاً درساً في الحياة الإيمان.

🕮 لأنها تركت كميه الحبوب وطارت، وهي واثقة تماماً، أن كل مكان ستذهب إليه ستجد فيه قوتها وطعامها، دون أن تهتم بشيء، وهنا تذكر قول الرب: "لا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه"، "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون" {مت٦: ٢٥،٣٤}.

🕮 وبقوله عن العصفورة: "لا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها" {مت ٢٦:٦}. حقاً يا سيدي الرب إن العصافير أفضل من بشر كثيرين. ولكنك لفرط محبتك وتشجيعك لنا نحن الضعاف، قلت شيئاً أخجلنا وهو: "ألستم أنتم بالحري أفضل منها؟"

🕮 إننا نتعلم منها الإيمان، وعدم الاهتمام بالماديات، وعدم حمل الهم من جهة الغد. وأنت نفسك يارب قلت لنا أن ننظر إلى طيور السماء لنتعلم. ربما تقصد أننا أفضل منها من حيث أننا كائنات عاقلة. لها روح، وعلى صورة الله ومثاله، وإن كانت الطيور أفضل منا في اتكالها عليك!!

🕮 أعجبني في العصفورة أيضاً الانطلاق وحب الحرية.

🕮 وأعجبني عدم ربط ذاتها بمكان معين، مكان الرزق، حتى أنني قلت في قصيدتي عن السائح: " ليس لي دير فكل البيد والآكام ديري

ـ أنا طير هائم في الجو لم أشغف بوكر ـ أنا في الدنيا طليق في إقامتي وسيري.

📖 نحن أيضاً يمكننا أن نأخذ درساً في النشاط من النملة. وهكذا يقول لنا سفر الأمثال: "اذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها، وكن حكيماً" {أم٦: ٦ -٩}.

📖 إنني أشهد بكل يقين أنني لم أبصر في حياتي كلها نملة بلا حركة. أنها لا تقف مطلقاً. دائما تسعي وتتحرك. وكما يقول الكتاب: "تعد في الصيف طعامها، وتجمع في الحصاد أكلها" {أم ٨:٦}. إنها درس عجيب في النشاط والحركة.

📖 والنحلة أيضاً درس لنا في النظام.

📖 فدولة النحل كما قال أمير الشعراء أحمد شوقي: "مملكة مدبرة بامرأة مؤامرة. تحمل في العمال، والصناع عبء السيطرة".

📖 عجيب جداً هو نظام مملكة النحل، سواء توزيع العمل، أو صنع الشمع في منظره الجميل، أو جمع الرحيق وصنعه عسلاً، أو صنع طعام الملكات الذي نسرقه منها، ونبيعه في الصيدليات باسم Royal Jelly. وما أعجب ما يصنعه النحل من شهد، وما أعجب فوائد لصحة الإنسان، لقد وضعت في ذلك كتب ومؤلفات. أليس هو غذاء المعمدان؟!

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٤٣ ـ ٤٦

📖 {٩} التعليم من الطقوس:

📖 كل ما وضعته الكنيسة من الطقوس، له فوائده الروحية، لمن يحب يتأمل، ويتعلم. ومن أجل هذا نجد الأطفال، والأميين يستفيدون، حتى أن كان مستواهم العلمي والذهني لا يساعد على فهم كل معاني الصلوات. وليسوا هم فقط، بل كل الشعب يحصل على فوائد روحية

من الطقوس. ولكنهم يستفدون من كل ما يرونه من شموع، وبخور، وأيقونات، وملابس.

📖 بل ويستفيدون من تحركات الكاهن، ومن وجودهم وسطها، أو في الهيكل. وينتفعون كذلك روحياً، من سلالم الكنيسة، ومن الوقوف، والجلوس، ومن منظر الملابس، والصلبان ... إلخ.

📖 يرون الشمعة تنير أمام صورة قديس:

📖 فيتذكرون سيرة القديس، وينتفعون به. ويرون إكرام الكنيسة له بالأنوار، فيعرفون أنه لابد كان نافعاً، ويستحق التكريم. وهكذا يكرم الله الذين يكرمونه. ونور الشمعة يذكرهم كيف أن القديس كان منيراً مثل هذه الشمعة.

📖 ولكي ينير كالشمعة، لابد أنه كان يروي، ويذوب فيما ينير. وهكذا يأخذون درساً في بذل الذات، من أجل محبه الله، وفي خدمة الآخري. ويشعرون أن هذا القديس حي لم يمت

📖 فيتحدثون معه، ويطلبون صلواته عنهم، ويكلمونه كما لو كان موجوداً بينهم. وهكذا يأخذون فكرة عن العلاقة بين الكنيسة المجاهدة على الأرض، وأعضائها الذين جاهدوا وانتقلوا.

📖 وفي كل ذلك - ودون أن يشعروا - تثبت فيهم عقيدة الخلود، ويرددون في داخلهم قول الكاهن في الصلاة: "لأنه ليس موت لعبيدك بل هو انتقال". إنها دروس من مجرد شمعة وصورة.

📖 والمتعمقون يرون أن الشمعة تضئ بسبب الزيت، يرمز إلى الروح القدس. وهكذا يرون أن كل ما نعمله خير، لا يرجع إلى معدننا الطيب، بقدر ما يرجع إلى عمل الروح فينا. ويتذكر أهمية الزيت في قصة العذارى الحكيمات والجاهلات.

📖 وكذلك يأخذون دروساً أخري من الشموع عند قراءة الإنجيل،

والشموع في الكنيسة عموماً وفي الهيكل. ويذكرون قول المزمور: "سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي" {مز ١١٩}.

📖 وأيضاً: "كلمة الرب مضيئة تنير العينين عن بعد" ويرون أن الكنيسة كالسماء في أنوارها، وأن هذه الأنوار تذكرنا بالملائكة. وبأن المؤمنين: "يضيئون كالكواكب إلى آبد الدهور" {دا١٢: ٣}.

📖 ملابس الكهنة البيضاء تذكرا لمصلين بنقاوة الكهنوت.

📖 وبأن الكهنة هم ملائكة الكنيسة {رؤ٢،٣}. وتذكرهم بسكان السماء الذين ظهروا في سفر الرؤيا بثياب بيض، قد بيضوها في دم الحمل {رؤ٧: ١٤،١٣}. والدرجات التي يصعدها الكهنة إلى الهيكل، تذكرهم بسمو المذبح، وارتفاعه، وعلو خدامه.

📖 وهكذا يخلعون أحذيتهم وهم يدخلون إلى الهيكل. شاعرين بقدسيته. وبأن مكان الشمامسة والخدام أعلي من مكان الشعب، ومكان الهيكل أعلي من كليهما.

📖 والبخور إذ يرتفع إلى فوق، وهو لرائحة زكيه:

📖 يذكرهم بالصلوات الطاهرة التي تصعد إلى فوق إلى السماء. ويعوزني الوقت إن تكلمت عن كل طقوس الكنيسة بالتفصيل، وكل ما فيها من تأملات ومن دروس. مع تنوع القراءات وألحان الصلوات. إنها تحتاج إلى كتب.

📖 ولكن يكفي أن كل من يدخل الكنيسة بروح التأمل، يخرج منها وهو في حالة روحية قوية، وقد أثرت فيه الدروس التي تلقاها من الطقوس. مجرد منظر الكنيسة التي تذكره بفلك نوح، وكيف خلص فيه أولاد الله، أو تذكره بالسماء، وما فيها من ملائكة وأضواء.

📖 والمنارة التي ترتفع إلى فوق متجهة إلى السماء.

📖 تذكره قبل أن يدخل إلى الكنيسة، بأن يرفع نظره إلى فوق، هو

أيضاً، متجهاً إلى فوق. إن من يريد أن يتتلمذ، يجد في الطقوس مادة دسمة.

التلمذة - البابا شنودة الثالث - صفحة ٤٧ - ٥٠

🕮 {١٠} التلمذة على الحادثات:

🕮 كل حدث يحدث، يحمل في أعماقه درساً نافعاً لمن يرغب في الاستفادة، وفي التلمذة. وليس فقط الأبرار يستفيدون، بل أيضاً أهل العالم. إن أحشويرش الملك لما قرأ سفر أخبار الأيام، تأثرت نفسه مما قرأ. وكان ذلك سبباً في خلاص الشعب كله.

🕮 إن الأحداث توحي بمشاعر معينة، وتقود إلى تصرفات روحية لمن يتأثر بها. يا ليتنا نتأمل يد الله في كل ما يحدث معنا، أو حولنا، للأفراد والجماعات.

🕮 نأخذ درساً عن الله، وكيف يتصرف، وكيف ومتي يتدخل، وكيف يحول الشر إلى الخير، وكيف يدبر أمور هذا الكون في حكمة، تجمع بين الحرية التي يهبها للإنسان، والحزم الإلهي الذي يقيم العدل على الأرض.

🕮 نأخذ دروساً في عناية الله، وفي عدل الله، وفي صبر الله وطول أناته. لقد سجل داود النبي حادثات حدثت في أيامه. غني بها داود في مزامير. وغني بها المدنيون في أناشيد هو في سفر ياشر {٢صم ١: ٨}. وكانت دروساً. وكذلك أحداث غني بها يشوع {يش١٠: ١٣}. سجلت أيضاً في كتاب الأناشيد القومية المعروف بسفر ياشر.

🕮 تأمل إذن كل الحادثات التي تمر بك. وخذ منها درساً، واحفظها في قلبك. كما قيل عن العذراء إنها: "كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" {لو٥١:٢}. وكما كان الرب يقيم تذكارات معينة لأحدث خاصة، حتى لا ينساها الناس، كالأحجار التي وضعوها وسط مياه الأردن،

حتى لا ينسوا أنه أنشق ذات يوم {يش٤: ٩}.

📖 قصة عبور البحر الأحمر، وقصة الثلاثة فتية.

📖 تضعها الكنيسة في تسبحه نصف الليل، لكي نتغنى بهما كل يوم، ونأخذ درساً في الإيمان، ودرساً في عناية الله وحفظه. وقصص أخري غير هاتين.

📖 وما الأحداث التي نقرأها في السنكسار كل يوم سوي دروس أخري نتتلمذ عليها. إنها تتلي علينا لكي نتتلمذ على الأحداث، ونري كيف كان الله يعمل، وكيف كان القديسون يعملون. مع قصص أخري من سفر أعمال الرسل، نسمعها في كل قداس، لنفس الغرض، مع قصص أخري من سير القديسين. وطوبى لمن يستفيد من كل تلك الحادثات دروساً.

📖 يمكن أن تسمي دروساً من التاريخ.

📖 أن كانت قد حدثت في الماضي، ودروساً من الحادثات إن كانت في جيلنا، ورأيناها بعيوننا، أو سمعنا عنها بآذاننا. أما أن تمر الحادثات دون أن نأخذ منها دروساً، فهذا بلا شك تقصير في التلمذة.

📖 حتى أهل العالم يجدون في الحوادث عبراً أي دروساً، يعتبر بها الإنسان، ويستفد منها، سواء حدثت له هو، أو لغيره، صديقاً كان، أو عدواً. وقد قال الشاعر: "ومن وعي التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى عمره".

التلمذة ـ البابا شنودة الثالث ـ صفحة ٥١ ـ ٥٣

📖 {١١} التلمذة على أب الاعتراف:

📖 سعيد هو الإنسان الذي له أب اعتراف على مستوي الإرشاد الروحي. لا يسمع فقط، ويقرأ التحليل، وإنما يرشد أيضاً، ويعلم، ويشرح الطريق الروحي، ويمنح ابنه في الاعتراف موهبة الإفراز والتمييز. ذلك هو المعلم الذي درس الطريق الروحي، واختبره.

📖 ودرس النفس البشرية، وعرف ضعفاتها، وغرائزها، وميولها، ودوافعها. كما يكون أيضاً قد درس حروب الشياطين، وحيلهم، ومكرهم، وخداعهم. وعرف أيضاً وسائل الانتصار عليهم.

📖 مثل هذا الأب يمكن التتلمذ عليه. فإن لم يوجد يبحث المعترف عن المرشد روحي. يضعه إلى جوار أب الاعتراف، ويسأله فيما يمكن أن يتصرف به في حياته الروحية.

📖 المفروض أن يكون أب الاعتراف هو المرشد، لأن نفس المعترف مكشوفة أمامه. فإن لم يكن له هذه الموهبة. أو كان وقته ضيقاً جداً لا يكفي الإرشاد المئات من المعترفين عليه، بالإضافة إلى مسئوليات الأخرى، حينئذ تقضي الضرورة إلى وجود مرشد يسند المعترف بنصائحه وتشجيعاته، ويكشف له ما خفي عن معرفته، حتى لا يسير في الضباب.

📖 ومن جهة التلمذة على الآباء والمرشدين، لنا ملاحظات:

📖 ينبغي أن يكون المرشد سليماً في عقيدته، سليماً في إرشاده، وفي قيادته، مجرباً مختبراً. وإلا أنطبق قول الكتاب: "أعمي يقود أعمي، كلاهما يسقطان في حفرة" {مت ١٥: ١٤}.

📖 وهذا الوضع أنتقده السيد المسيح بالنسبة إلى الكتبة والفريسيين، وقال عنهم إنهم قادة عميان {مت٢٣: ١٦، ٢٤}. وقال لهم موبخاً: "إنكم تطفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومت حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً" {مت ٢٣: ١٥}.

📖 **٢-** إذن فإذا انحرف الأب والمرشد، لا تجوز له طاعة، ولا يجوز قبول لإرشاده. من هنا كان على الإنسان أن يسترشد، وفي نفس الوقت يكون مفتوحاً العينين. ويحرص على راحة ضميره في كل ما يقبله من إرشاد.

📖 وعلى الأب، أو المرشد، ألا يكتفي بمجرد التوجيه، إنما أيضاً يقنع، ويثبت التعليم بآيات الكتاب، أو أقوال القديسين.

📖 **٣-** ولا مانع من أن يسأل الإنسان معلمه، أو مرشده، أو أباه الروحي: فتلاميذ السيد المسيح نفسه كانوا يسألونه، ويستوضحونه بعض الأمور. فكان - تبارك اسمه - يشرح لهم، ويضرب الأمثال، ويذكر لهم بعض آيات الكتاب، ويفسر لهم {لو ٢٧:٢٤}.

📖 فإن وجد أحد في نصيحة مرشده ما يخالف كلام الله، فليذكر قول الكتاب: "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" {أع٥: ٢٩}.

📖 **٤-** وليس من الصالح أن يحاول المعترف أن يكون صورة من أبيه الروحي في كل شيء: فربما ما يناسب أباه لا يناسبه هو، وربما ظروف أبيه، ومقدراته، ونفسيته، تختلف عنه تماماً. إنما يأخذ المبادئ، ويطبقها على قدر طاقته الروحية، وحسبما يناسبه هو، ويناسب شخصيته.

📖 **٥-** وفي نفس الوقت لا يجوز للمرشد أن يلغي شخصية من يتتلمذ عليه: ولا يجوز أن يسيره في تياره على الرغم منه، غير مراع ظروفه، ونفسيته، وميوله!!

📖 فإن كان المرشد مثلاً محباً للوحدة، والهدوء، لا يجوز له أن يدفع كل تلاميذه، فربما بعضهم له شخصية إجتماعية، ويحب خدمة الناس، والوجود معهم، وإفادتهم، الاستفادة منهم.

📖 **٦- كما يمكن أن يكون الإنسان أكثر من مرشد:**

📖 يسأل كلاً منهم فيما يتقنه من أمور، بحيث لا يقع في تناقض بين الإرشادات. فإن حدث شيء من هذا، أو ما يشبهه، يتخذه مجالاً للسؤال وللدرس، ولمزيد من المعلومات. ولمواجهة الرأي بالرأي،

في غير إحراج، وبدون ذكر أسماء.

📖 كان القديس الأنبا أنطونيوس الكبير، يأخذ دروساً من كل النساك المحيطين به بداية حياته الرهبانية. ويتعلم من هذا الوداعة، ومن ذاك الصمت، ومن ثالث النسك، والزهد، ومن رابع الصلاة، والتأمل، ومن خامس الحكمة ... الخ.

📖 **٧-** وقد يحتاج الإنسان فيما يتلقاه من المرشد، أو من الكتب، إلى شيء من التدريج: فليس كل ما يقتنع به الإنسان من الفضائل أمراً سهلاً في تنفيذه.

📖 ربما يحتاج إلى وقت طويل. من أجل عدم تعود النفس على هذا الجديد من الفضائل، وربما لمقاومة العادة، أو بسبب حروب الشياطين، ومحاولتهم عرقلته في طريق الله، أو بسبب العقبات التي تصادفه من بيته، أو من البيئة المحيطة!

📖 **كذلك فالشيء الذي يدركه بسهولة، قد يفقده بسهولة:**

📖 فليس المهم أن يمارس إنسان فضيلة ما، إنما المهم أن يثبت فيها، حتى تصبح جزءاً من طبيعته. ولهذا فكل فضيلة لا يبقي الإنسان فيها زمناً، وقد تكون عارضة في حياته، وغير ثابتة.

📖 فلا يصح أن يقفز الإنسان بقفزات سريعة في الطريق الروحي، ويحاول أن يصل قبل الوقت. إنما في هدوء، وتروٍ، واتزان، ينبغي أن يسير خطوة فخطوة، حتى يصل بخطوات ثابتة، و "لا يرتئي فوق ما ينبغي" {رو١٢: ٣}.

📖 ولا يسرع إلى درجة معينة قبل أن يتقن ما قبلها. ولا يضغط على مرشده، وأبيه الروحي، لكي يسمح له بتلك السرعة.

📖 **٨-** ولا يجوز أن تعتبر أباك الروحي مجرد جهاز تنفيذي، لما تعرضه من رغبات روحية! لا تعرض عليها قرارات واجبة التنفيذ،

وإنما مجرد رغبات، أو على الأصح مجرد مقترحات، أو أسئلة، أو تطلعات، يقول لك هل هي صالحة لك، أم هي غير صالحة.

📖 ولا تضغط عليه في أن يسمح لك أن تنفذ، ولا تغضب إذا لم يسمح! وإلاّ كان الإرشاد صورياً، وتصبح في هذه الحالة كمن يسلك على حسب هواه، إنما يريد الأب أن يوافق ليعطيه هواه ورغباته روحية.

📖 **٩-** قبل أن تذهب للاسترشاد الروحي، عليك أن تصلي أن يهب الله لمرشدك الفكر الصالح الذي يناسب حياتك: أي تصلي أن ينفذ الله مشيئته في حياتك، عن طريق الأب، أو المرشد. فيقودك في الإرشاد الذي يريد الله أن يقدمه لك، ويرشده بما يرشدك به.

📖 **١٠-** اعرف أن الفضائل التي تسلك فيها حسب هواك، قد تقودك إلى المجد الباطل: لذلك يقول الآباء في البستان: "إذا وجدت شاباً صاعداً إلى السماء بهواه، فاجذبه إلى أسفل". والخطورة هنا في العبارة: "بهواه" ويقول الكتاب: "على فهمك لا تعتمد" {أم ٣: ٥}.

📖 وقد شرح الكتاب هذا الأمر في آية تكررت مرتين متقاربتين في نفس السفر: "توجد طرق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق الموت" {أم ١٤: ١٢، ١٦:٢٥}. وقد يتشبث الإنسان بهذه الطريق التي تبدو مستقيمة، ويكون فيها تشبثه كل الضرر له.

📖 وربما تكون هذه الطريق التي تبدو له مستقيمة هي من خداع الشياطين. وما أكثر ما شرحه مار إسحق، والقديس مار أوغريس، في هذه النقطة بالذات!! على أن المتشبث بفكرة، الذي يقود نفسه حسب هواه، قد يقنع نفسه بأن هذا الفكر من الله، وأن الروح هو الذي ألهمه هذا الفكر!

📖 **١١-** ما أخطر حالة من يقول إنه يتلقي معرفته من الله مباشرة! وأنه يتتلمذ على المسيح مباشرة: وبهذا يرفض أن يتتلمذ على الناس.

📖 وفي نفس الوقت لا يضمن هل الفكر الذي أتاه هو من الله، أم ليس من الله! ومن عجب أن من يقول هذا الكلام ليس هو نبياً، وليس هو من الإثنى عشر. ولا يستطيع أن يقول كما قال بولس الرسول: "تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً" {١كو ١١: ٢٣}.

📖 ١٢- إن التعليم من الله قد يعني التعليم من مصادر إلهية:

📖 إننا نتعلم من الله في كتابه المقدس. نتعلم من السيد المسيح في سيرته المقدسة. ومع ذلك نحتاج إلى من يفسر لنا هذه الكتب، وإلي من يقودنا في الطريق الروحي.

📖 فليس التعلم مجرد فهم نظري، بقدر ما هو تطبيق عملي.

📖 ١٣- وإلا فلماذا أوجد الله المعلمين، والمرشدين؟!

📖 لماذا قال للتلاميذ: "وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" {مت ٢٨: ٢٠} إن كان يمكن للإنسان أن يتعلم من الله مباشرة؟! ولماذا: "أعطي البعض أن يكونوا ... رعاة ومعلمين" {أف٤: ١١}. ولماذا قيل: "أم المعلم ففي التعليم" {رو ١٢: ٧}. ولماذا قيل إنه من فم الكاهن تطلب الشريعة {ملا٢}

📖 إن عبارة: "يكون الجميع متعلمين من الله" {يو ٦: ٤٥}، نفهمها بآية أخرى هي: "من يسمع منكم، يسمع مني" {لو ١٠: ١٦}.

📖 إن من يطلب أن يتعلم من الله مباشرة، أو يتتلمذ على المسيح مباشرة، ربما ينقصه الاتضاع الذي يقبل التعليم من المعلمين، والمرشدين، ويعوزه أن يتذكر قول الرسول: "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله" {عب ١٣: ٧}.

📖 وأيضاً: "أطيعوا مرشديكم واخضعوا. لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً، لكي يفعلون ذلك بفرح غير آنين، لأن هذا غير نافع لكم" {عب ١٣: ١٧}.

📖 إن القديس بولس الرسول قد أمتدح تلميذه تيموثاوس الأسقف قائلاً: "وأما أنت فقد تبعت تعليمي، وسيرتي، وقصدي، وإيماني" {٢تي ٣: ١٠}. لماذا لم ينصحه أن تعليمه وسيرته من الله مباشرة؟!

📖 وهل ترانا أعظم من القديس تيموثاوس الذي تلقي تعليمه من بولس الرسول؟! ولماذا يقول بولس الرسول للمؤمنين: "كونوا متمثلين بي، كما أنا بالمسيح" {١كو ١١: ١}

📖 "كونوا متمثلين بي معاً أيها الإخوة" {في ٣: ١٧}.

📖 **١٤-** إن الفكر الذي يرفض التلمذة على الكنيسة، ويريد أن يتعلم من الله مباشرة، ليس هو فكراً أرثوذكسياً، وليس هو فكراً إنجيلياً كتابياً. وذلك في ضوء نصوص الكتاب التي ذكرناها، وأمثالها كثير جداً، ومنها كل الآيات التي تتحدث عن التعليم، والكرازة، والإرشاد، والوعظ، ووظيفة الكنيسة في التعليم. وفي كل كنائس الدنيا - مهما اختلفت عقائدها - يوجد وعاظ، ومنابر للوعظ.

📖 ما لزوم كل هذا إن كان الناس يتعلمون من الله مباشرة؟!

📖 **١٥-** الحياة الروحية أيها الإخوة تحتاج إلى اتضاع قلب. وفي التلمذة اتضاع: أما الذي يصر على أن يتعلم من الله مباشرة، فقد يقع في الكبرياء. وتستطيع الكبرياء أن تسلمه فريسة سهله للشياطين، فيقدمون له ما يشاؤوا من التعليم. وكل المبتدعين، والهراطقة في تاريخ الكنيسة، رفضوا أن يتتلمذوا على الكنيسة، واتبعوا فكرهم، ظانين أن ذلك الفكر هو من الله!!

📖 **١٦-** حقاً ما أدراك أن الفكر الذي تظن أنه من الله هو من الله حقاً؟! يروي لنا البستان أن القديس مكاريوس الكبير جاءه فكر أن يزور الآباء السواح في البرية الجوانية، فيقول هذا القديس العظيم: "فبقيت

مقاتلاً هذا الفكر ثلاث سنوات، لأري هل هو من الله أم لا!" وأنت بكل بساطة تري أنك تتعلم من الله مباشرة، وأن الروح قال لك كذا وكذا!! أي روح هذا؟ وكيف تضمن؟!

إن الكتاب يقول: "لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؟ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" {١يو ٤: ١}. ويقول أيضاً: "امتحنوا كل شيء" {١تي ٥: ٢١}.

١٧- ربما تكون هناك مصادر كثيرة للفكر الذي تظنه من الله:

قد يكون فكرك الخاص، أو هواك الخاص. وقد يكون فكراً مترسباً في عقلك الباطن من قراءات، أو سماعات سابقة. وقد يكون خدعة من الشيطان. وأنت محتاج أن تتباطأ وتتروي، وتقرأ الكتاب، وتسأل وتسترشد. أيها الأحباء، تواضعوا، وتتلمذوا. واذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله.

كتاب التلمذة - قداسة البابا شنودة - صفحة ٥٤ - ٦٤



{٩}

أغناطيوس بريانتشانينوف

{ف٩} مطالعة الإنجيل وكتابات الآباء	{ف١٠} التمييز لدي مطالعة كتابات الآباء

الفصل التاسع

في مطالعة الإنجيل وكتابات الآباء القديسين

أن عمل الراهب المبتدئ، الأساسي، داخل القلاية ينبغي أن يكون مطالعة الإنجيل ودرسه، بما في ذلك كل أسفار العهد الجديد.

كل العهد الجديد يمكن أن يسمي إنجيلاً، طالما أنه لا يحوي إلا تعليم الإنجيل.

بيد أنه يتوجب على المبتدئ، بادئ {زي} بدء، أن يدرس وصايا

الرب في الإنجيل، بحسب روايتي متى، ولوقا. ومن دراسة الوصايا في هذين الانجيلين، مقرونة بحفظ الوصايا، تصبح الأسفار الأخرى التي تؤلف العهد الجديد، مفهومة بيسر، وسهولة.

📖 ويتوجب على المبتدئ أثناء مطالعة الأناجيل، أن يطالع، وفي نفس الوقت، ما هو بمثابة الحكم، أعني بذلك التفاسير ... الشروحات، هي السبيل إلى حفظ الإنجيل على نحو أدق.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٤

📖 ليس هناك ما يحول دون عيش الإنسان بحسب وصايا الإنجيل، في أي دير، ومهما كانت قوانين ذلك الدير، ومهما كان هذا الدير بعيدا عن التنظيم الحسن.

📖 وهذا يقال لتشجيع وتعزية أولئك الذين لا يكتفون بإدارة شؤون ديرهم، سواء كانت إدارة بخطأ، أو صواب. ومن الأفضل، والأكثر يقينية، بالنسبة لكل راهب، أن يبحث عن سبب عدم اكتفائه، ورضاه، في نفسه، لا في محيطه، وأحواله.

📖 ولوم النفس على الدوام من شأنه أن يجلب السلام، والراحة إلى القلب. وبالتالي فإن هذا لا يعني البتة، أن الأديرة المنظمة لا يجوز أن تفضل على نقيضها من الأديار، وذلك عندما يكون الاختيار معتمدا علينا. ولكن هذا ليس هو واقع الحال على الدوام.

📖 وعندما يجعل الإنسان، تعلم وصايا الإنجيل، وحفظها، قاعدة لحياته، لا يسمح لنفسه بالانحراف، والتلهي {العبث} بإرشادات الآباء القديسين المختلفة.

📖 ويمكن للمرء أن يشرع بقراءة كتابات الآباء القديسين، وذلك كي يحوز معرفة دقيقة ولصيقة، قدر الامكان، بالجهاد الرهباني المؤلم، والمبهج بأن.

📖 ولدى قراءة كتابات الآباء القديسين، من الضروري متابعة، أو ملاحظة طابعها المرحلي، فهي مدونة للأطوار المختلفة، والمراحل المختلفة من الحياة الروحية. ولا يجوز في أي حال من الأحوال، أن تقرأ عشوائيا، أو كيفما اتفق.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٥

📖 وبادئ {زي} بدء، فإن الأعمال الآبائية، الموضوعة لرهبان حياة الشركة {Cenobitic}، ينبغي أن تقرأ، وهي التالية: توجيهات القديس دوروثاؤس. كذلك أيضاً العظات التعليمية للقديس ثيودور الستوديتي وأيضا توجيهات في الحياة الروحية للقديسين برصنوفيوس ويوحنا النبي بدءا بالرقم {٢١٩}.

📖 وذلك لأن الأجوبة السابقة هي في الأساس للنساك، وبالتالي فهي لا تصلح للمبتدئين}. وأيضاً سلم القديس يوحنا، وأعمال القديس إفرام السرياني والكتابات الرهبانية التي وضعها القديس يوحنا كسيانوس الروماني.

📖 ويمكن تباعا، ومع الوقت قراءة الأعمال التي وضعها الآباء القديسون للمتوحدين، على سبيل المثال، الفيلوكاليا، الأدب الآبائي في الإسقيط، فصول القديس إشعياء المتوحد، مقالات القديس إسحق السرياني، وأعمال القديس مرقص الناسك، وكلمات وعظات القديس مكاريوس الكبير، والأعمال الشعرية والنثرية للقديس سمعان اللاهوتي الجديد.

📖 وكتابات أخرى مماثلة آبائية ذات صلة بالحياة العملية، وكل الأعمال المدونة ههنا هي من فئة الكتابات النسكية، أو العملية، وذلك لكونها تتعاطى الحياة الرهبانية وتفسرها. وقد قال القديس يوحنا السلمي: "إذا كنت تعيش حياة عملية، طالع كتابات عملية" {٢٧:٢٨}.

📖 والكتب العملية {active} من شأنها أن تحض الراهب على الأعمال والجهادات الرهبانية، لا سيما الصلاة.

📖 كذلك فإن مطالعة الكتابات الآبائية الأخرى، من شأنها أن تقود إلى التأمل، والهذيذ، وهي قد تكون قبل الأوان بالنسبة لراهب مريد {مبدئ}، لم يتنق من الأهواء بعد.[11]

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف - صفحة ٦٦

الفصل العاشر

في التمييز لدي مطالعة كتابات الآباء القديسين ذات الصلة بالسيرة الرهبانية

📖 ينبغي أن تطالع كتابات الآباء القديسين - ذات الصلة بالسيرة الرهبانية - بانتباه كبير. لقد لوحظ أن المبتدئين لا يستطيعون أن يكيفوا هذه الكتابات وحالتهم، بيد أنهم ينجذبون بثبات حسب مسيرة ووجهة هذه الكتابات.

📖 وإذا كان الكتاب يقدم إرشادات في السكينة، مظهرا غنى الثمار الروحية، التي تجتني في سكون عميق، عندها، فإن المبتدئ {المريد} سوف يتوق بقوة، وتوا، إلى الانقطاع، أو التوحد، إلى برية مقفرة وغير مأهولة.

📖 أما إذا تناول الكتاب الآبائي موضوع الطاعة غير المشروطة، تحت قيادة أب حامل للروح القدس، فسرعان ما ينمي في داخله، الرغبة بسيرة تكون الأكثر تشددا، وصرامة، وتكون في خضوع تام للشيخ الروحي.

📖 بيد أن الله لم يمنح زماننا أيا من هاتين الطريقتين في الحياة.

📖 الا أن كتابات الآباء القديسين التي تصف هذه الحالات، بمقدورها أن تؤثر في المبتدئ بقوة، بحيث أنه بداعي جهله، وضحالة خبرته،

يمكنه بيسر وسهولة أن يقرر مبارحة المكان الذي يقيم فيه، حيث أن له فيه كل ما يلائم إنجاز خلاصه، والعمل على تقدمه الروحي، من خلال تفعيل وصايا الإنجيل، بدل السعي نحو حلم مستحيل نحو الحياة الكاملة، يصوره له خياله المخدوع بحيوية كبيرة.

🕮 ويقول القديس يوحنا السلمي في الفصل المخصص للسكينة والهدوء: «ونعرف أن هناك كلبا يقف كل حين لدى موائد الرهبان، محاولا التقاط كسرة خبز، أعني بها نفس أحدهم، وذلك كي يجري. بها إلى العزلة فيأكلها باطمئنان» {الفصل٢٧:١}

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٧

🕮 وفي الفصل المخصص للطاعة، يقول مرشد الرهبان: «ويثير الشيطان في العائشين في الطاعة، شهوة جامحة إلى فضائل يتعذر عليهم بلوغها. كذلك فإنه يوعز للمتوحدين بممارسة فضائل لا تناسبهم.

🕮 فإذا تقصيت عقل المبتدئين العادمي الخبرة، فإنك تجد فيه اهتمامات مضللة: شهوة إلى التوحد، وأخرى إلى صوم متشدد جدا، وأخرى إلى صلاة بلا انقطاع، وغيرها لخلاص كلي من المجد الباطل، مع ذكر دائم للموت، وخشوع دائم، وسلام، وصمت عميق، وطهارة لا مثيل لها.

🕮 ولما كان هؤلاء - وبتدبير إلهي - لا يبلغون إلى هذه الفضائل في بداية سيرتهم الرهبانية، فإنك تراهم يسعون إلى هذه الفضائل، بانطلاقهم على غير هدى نحو حياة أخرى، وهم مضللون.

🕮 فالعدو يحضهم على ابتغاء هذه الكمالات قبل الأوان، وذلك كي يجعلهم قليلي الصبر، من أجل امتلاكها في وقت موفق.

🕮 أما المتوحدون منهم، فالمحتال الماكر يجمل لهم فضائل العائشين

في الطاعة، مثل ضيافة الغرباء، والخدمة، والمحبة الإخوة، والحياة المشتركة مع الإخوة، وافتقاد المرضى، وذلك كي يجعلهم بدون صبر في توحدهم، على غرار العائشين في الشركة {الفصل٤:١١٨}.

📖 ويحاول إبليس أن يضلل الرهبان، ويجرهم إلى الهلاك، وذلك عبر الإيحاء لهم، لا بالخطيئة في أشكالها المختلفة، بل عبر اعتماد الفضائل السامية، التي لا تناسب حالتهم.

📖 أما أنتم، فلا تثقوا بأفكاركم، بأرائكم، بأحلامكم، بدوافعكم، بميولكم، حتى ولو جاءتكم هذه كلها بالحياة الرهبانية في هيئة جذابة.

📖 وإذا أعطاك الدير الذي تقيم فيه الإمكانية، كي تعيش بمقتضى وصايا الإنجيل، فلا تبارحه، حتى ولو تعرضت فيه لخطيئة قاتلة.

📖 بل بادر إلى احتمال عيوب ديرك. الروحية منها والمادية بكل ما أوتيته من شجاعة. ولا تفكر أنك تستطيع أن تجد إطارا للعمل، في زماننا، لم يعطه الله.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٨

📖 والله يشاء، ويطلب خلاص كل إنسان، وينقذ كل الراغبين أن ينجوا من الغرق، في بحر الحياة والخطيئة. الا أنه لا ينجي أحدا بواسطة قارب، أو في مرفأ حسن التجهيز.

📖 لقد وعد أن يخلص الرسول الإلهي بولس، والذين معه، وفي النهاية خلصهم. غير أن الرسول بولس والذين معه، لم يخلصوا في السفينة التي تحطمت، فخلاصهم كان بعد مشقة، فبعضهم بالسباحة نالوا الخلاص، وآخرون على الواح عائمة، وأجزاء مختلفة من حطام السفينة {أعمال٢٧:٢١-٤٤}.

كتاب: تقدمة الى رهبنة معاصرة: القديس أغناطيوس بريانتشانينوف ـ صفحة ٦٨



{١٠}

القديس مرقس الناسك

📖 **١٦٩-** القبول المطلق للتقليد {ما تسلمناه من الآباء} نافع للشخص الوديع، حينئذ لن يجرب صبر الله، ولا يسقط في الخطيئة غالبا.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في الناموس الوحي - القديس مرقس الناسك - صفحة ١١٨

📖 **٢٢٥-** بإتباع المتوالية {أي تسلسل الخطية} التي تم وصفها للتو، يجب أن تجد مكان السكنى {لله} ونقرع بالصلاة المثابرة، حتى يمكن أن يفتح لنا السيد، سواء في هذه الحياة، أو عند موتنا، ولا يقول لنا بسبب إهمالنا: «أنا لا أعرف من أين أنتم» {لو ١٣: ٢٠}.

📖 ليس فقط واجب علينا أن نسأل ونأخذ فقط، ولكن يجب أيضاً أن نحفظ بأمان ما تم أخذه، لأن بعض الناس يخسرون ما قد أخذوه.

📖 المعرفة النظرية، أو الخبرة العابرة لهذه الأشياء، ربما يكتسبها هؤلاء الذين بدأوا أن يتعلموا، سواء كانوا كبارا في السن، أو لازالوا صغارا، ولكن بالتمرن الثابت بصبر على هذه الأشياء، فبالكاد يقتنيها حتى الشيوخ المتعبدين المختبرين بعمق، التي فقدوها مرارا من خلال نقص الانتباه، وحينئذ بحثوا عليها من خلال المعاناة الاختيارية، ووجدوها ثانية. لذلك دعنا نتشبه بهم بثبات في هذا، حتى ننال نحن أيضاً هذا التمرن بثبات.

كتاب الفيلوكاليا - المجلد الأول - في هؤلاء الذين يعتقدون أنهم يتبررون بالأعمال - القديس مرقس الناسك - صفحة ١٤٦

{١١}
كتاب بستان الرهبان

📖 **قال أنبا باخوميوس:**

📖 "إذا أكرمك إنسان فلا يفرح بل إحزن، لآن بولس وبرنابا لما أكرمهم الناس شقا ثيابهما. وبطرس وباقي الرسل لما افتروا عليهم وجلدوهم، فرحوا لأنهم حسبوا أهلا لآن يُهانوا من أجل الاسم

العظيم.

يا ابني: اهرب من مجد الناس. لقد طلبت حواء مجد الألوهية، فتعرت من المجد الإنساني. كذلك من يلتمس مجد الناس، يُحرم من مجد الله.

تلك لم تكتب لها كتب، ولا رأت مثالاً، فاختطفها التنين. أما أنت فقد علمت بهذه الأمور من الكتب المقدسة، ومن كافة الذين تقدموك، فلن تستطيع أن تدافع عن نفسك وتقول: "لم أسمع" لآن أصواتهم خرجت إلى كل الأرض، وكلامهم بلغ إلى أقصي المسكونة.

ليس لنا عذر نقوله قدام الله، إذا وقفنا بين يديه. هل نقول: "لم نسمع أو نعرف، أولم يعلمونا؟" هوذا الكتب موجود فيها كل شيء.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣١٨

قال القديس أنبا أنطونيوس:

"أتعب نفسك في قراءة الكتب، فهي تخلصك من النجاسة".

"أتعب نفسك في قراءة الكتب، واتباع الوصايا، فتأتي رحمة الله عليك سريعاً".

"إذا جلست في خزانتك فلا تفارق هذه الأشياء: القراءة في الكتب ـ التضرع إلى الله ـ شغل اليد. والراهب الذي يكون في خزانته غير ذاكر الله تعالي، ولا قارئ في الكتب، يكون كالبيت الخرب خارج المدينة، الذي لا تفارقه الجيف النتنه، وكل من احتاج إلى تنظيف بيته من جيفة رماها فيه.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩١



قال شيخ: "قراءة الكتب تقوم العقل الطواف".



وقال أخر: "تعب الجسد بكثرة القراءة، ينقي العقل".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩١



قال الأب أبيفانيوس:

"إن الجهل بما في الكتب جرف عظيم السقوط، وهوته عميقة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩١

قال القديس موسي الأسود:

"كن مداوماً لذكر سير القديسين، كيما تأكلك غيرة أعمالك".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩١



قال الآباء:

"المناظرة في الآراء، والقراءة في العقائد المختلفة، والكلام في الإيمان، من شأن هذه أن تطرد من الإنسان خشونة، أقول الآباء واختبار القديسين، من شانها أن تنير النفس، وتلينها".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٢



قال شيخ: "القراءة فلتكن في قصص الشيوخ، وتعليمهم. لآن بهذا يستنير العقل نحو الفعل"

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٣٩٢

{١٢}

فيلوكالية الأباء الزاهدين

فصل٣

الهدف هو أول في كل شيء، وهكذا هدفنا وهدفك.

هدفنا أن نبين قدر المستطاع، ما يساعد في النمو الروحي، وهدفك أن تحيا حقيقة ما يقال لك. لابد إذن قبل كل شيء، أن تفحص كيف تتمكن من أن تتم البناء الذي نشيده إتماماً نراه، وكأنما في مرآة.

فنحن متى وضعنا الأسس الأولى، بصورة فعالة، بعد ذلك حينما يحين الزمان، أو بالأحرى حينما ننال فيض معونة العلاء، نضع أيضاً سقفاً يليق بهذا البيت، الذي يشيده الروح.

فيلوكالية الأباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ الفصل٣ ـ صفحة ٢٣



فصل ٤٠

يجب إذن أن تعلم ـ كما قلنا ـ كيف تُوزَع علينا عطايا الله، لا وفقاً لجهادنا، ومقدار جهدنا فقط، بل أيضا بحسب وضع حياتنا، واهتمامنا بالطريقة التي بها نحياها. وبحسب إيماننا.

ولا شك في مواجهة ما يعرض لنا، وبحسب سجيتنا الطبيعية الخاصة {التي تدربت، وأخذت تقويم ذاتها في الجهاد}. يقول القديس مكسيموس: الذهن، "وسيلة الحكمة". والكلام، "وسيلة المعرفة". واليقين الطبيعي الناجم عنها هو "وسيلة الإيمان الناشئ عن كليهما".

فيلوكالية الآباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٠٣

محبة الإنسان الطبيعية هي "وسيلة موهبة الأشفية {من محبة الأهواء}". لأن كل موهبة إلهية لها عندنا وسيلة ملائمة "قوة، أو حالة، او سجية" تقترن بها طبيعياً، وبإمكانها ان تتلقاها.

وهكذا من يُنقي الروح من كل التصورات الحسية يتلقَ الحكمة.

ومن يُمكن العقل من السيطرة على الميول الطبيعية أعني: "الحميا {الشدة} ـ والشهوة" يتلق المعرفة {الإلهية}.

ومن يملك بالذهن، والعقل، اليقين الراسخ بالإلهيات، يتلق الإيمان القادر على كل شيء. ومن يهذب محبة الإنسان الطبيعية، بعد القضاء التام على الأنانية، ينل مواهب الأشفية.

فيلوكالية الآباء الزاهدين ـ كاليستوس وأغناطيوس ـ الجزء الأول ـ صفحة ١٠٣ ـ ١٠٤

